

# الأدب الإلهامي

قراءة تحليلية أدبية في مواقف  
ومشاهد من السيرة النبوية

دكتورة

وجيهة محمد المكاوي

أ.م. أدب ونقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالسادات





## توطئة

**الفن القولي** .. أو أدب القول ينضح بأريج البيان . ويبيدي ما خُفي من فصاحة أدائية ، وإبداع تعبيرى ، وكان ﷺ أشرف المبلغين وأهمهم يخاطب الناس بالقول الفصيح مبلغاً وحي رب العزة:

﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ

رِسَالَتَهُ﴾<sup>(١)</sup>

وكان في تواصله واتصاله مثلاً فريداً في كمال العملية التواصلية . من تواصل مع الأطراف الأخرى ، ومراعاة أحوالهم وإدراكهم ، واستخدام طرق التواصل والمناخ الملائم للعملية ؛ لبث الرسالة - الإعلامية - السماوية .

وسيرته ﷺ تتلأأ بمصاييح مواقفه . وتُنار ببديع ألفاظه وعباراته . والبحث لا يطرح إشكالية بقدر ما يعرض رؤية جديدة لمواقف تليدة . فلم يعد هناك حديث يطرح عن التواصل والاتصال ؛ نظراً لثورة المواقع التواصلية وحدثاتها ، ولكن الأمم لا زالت تنبهر بمواقفه ﷺ وعظمته، ولكنني راعني أن هناك كثيراً من مواقفه غير الشهيرة . والتي لم تأخذ مساحة من التوضيح من خلال رؤية تفسيرية. تميط اللثام عن مواطن الإبداع الأدبي في أقواله وسر شهرتها وانتشارها فما ينطق عن الهوى .

إن عملية التواصل مع الآخرين ؛ شملت عناصر النجاح، مع المُبلِّغ الأول

ﷺ.

<sup>(١)</sup> سورة المائدة آية : ٦٧.



وإنه إن كان ثمة تعقيد قواعد لهذا الفن، فقد خرجت تلك القواعد من عباءته ﷺ ، واستمدت من مواقفه . واحتطبت بحبله، وهذا الحكم تجلى في مواقفه وكلامه ﷺ ، كافة لكن هناك كثير من المواقف التي لم تتناول بتلك الرؤية ؛ فأردت أن أضوء تلك المواقف ، وأميط اللثام عن كمال إبداعه قولاً وفعلاً .

وقد ركزت على مواقف منتخبة تجلت فيها عناصر العملية الاتصالية . منها: موقف لرسول رسول الله " جعفر بن أبي طالب " وهو يرد على رسولى قريش في حضور النجاشي ، وكيف كانت عباراته محددة الهدف . واضحة الدلالة . بيّنة المعنى . وقد تخيرت من الأحداث المهمة التي ملأت حياة رسولنا الكريم ﷺ ، ثلاثة أحداث .

الإسراء والمعراج - صلح الحديبية - خطبة الوداع - كان حديثه عنها حديثاً أدبياً ذا صبغة إعلامية - وإن كانت كل أحاديثه هكذا - تجلت بهم عناصر العملية الإعلامية وتحقق فيهم كينونة الإعلام الأدبي .. فإذا كان الأدب هو الأخذ من كل فن بطرف فإن المؤدب الأول جمع أطراف الفنون وأطلقها من فيه الذي لا ينطق عن الهوى في لفظ وجيز . ومعنى واضح . ودلالة محددة .

## وقد سار البحث كالآتي:

**تمهيد :** الجذور الإعلامية الإسلامية الأدبية .

**الفصل الأول :** رجال ومواقف ومكونات الخطاب الأدبي الإعلامي .

**الفصل الثاني :** الجملة الإعلامية الأدبية بين محدودية الاتصال

**وقوة التكرير والانتشار .**

**الخاتمة وأهم النتائج والمراجع**



## تمهيد

### الجدور الإعلامية الإسلامية الأدبية

الإعلام بأبسط تعريف . هو التبليغ والتوعية والتوجيه . عن طريق الاتصال بالجماهير... وهو ما حدث في صدر الدعوة .

وقد مرت عملية الاتصال قديمًا مستوفية عناصرها فإذا كانت عناصرها: المصدر، والرسالة، الوسيلة، والهدف<sup>(١)</sup>.

فالإعلام موجود منذ فتح الإنسان عينه على دقائق الحياة . وهو موجود منذ بداية وجود البشر وهم يتعارفون على بعضهم البعض. وقد تباهى الغربيون بأنهم أول من ابتكر عملية الاتصال عندما وضع هارولد لاسويل سؤالاً عُده هو الجامع للعناصر الخمسة في عملية الاتصال .

من يقول؟ ماذا يقول؟ بأية طريقة يقول؟ إلى من يوجه قوله؟ بأية فاعلية<sup>(٢)</sup>.. مما يوضح أن العملية الإعلامية. تمر بمراحل خمس :

- ١- وجود مصدر، أو معلم، أو شيء يريد نقله.
- ٢- هذا الشيء هو ما يسمى "بالرسالة الإعلامية".
- ٣- وسيلة لنقل الرسالة -تحدد الوسيلة - كانت في القديم مشافهة وهو الأغلب أو كتابة .

٤- المرسل إليهم - تحديد الجمهور المستهدف .

٥- الهدف، وبه قياس فاعلية التأثير في هذا الجمهور.

(١) الإعلام ومشكلة الثقافة، د. عبد العزيز شرف ص ٤٦.

(٢) المصدر السابق ص ٤٦



وقد مُرس ذلك في الإعلام الإسلامي قديماً إذ كان واضح الهدف، موضوعي الأسلوب، قائماً على التحليل والتأمل . ينشط الذهن ، وينمي ملكة التفكير لدى الإنسان ، يلتمس الإقناع طريقاً للجذب ، ولا يدعو المُقنع لأن يجر المُقنَّع " جَزًّا بواسطة الغرائز، والعواطف ،والانفعالات " لمحاولة جعل المسلم نبعة تنبت العلاج ليشيع في المجتمع . (١)

والهدف الإعلامي قديماً كان ينشد تغييراً جذرياً من الانطلاق من عممة الكفر إلى ضياء الإسلام، ولأنهم كانوا يعتلون ربوة الفصاحة والبلاغة ،كانت وسيلتهم العبارة الأدبية الصحيحة التي تختزل من المعانى ما يفوق ما تبوح به وتفصح عنه .. فالإعلام وجد قديماً .. بل إن الأسس والضوابط التي تحكم - أو المفترض - أن تحكم العملية الإعلامية الآن مُورست قديماً، وتفاعلت في عملية الاتصال .التي حكمتها الصبغة الأدبية، ووسمتها بميسمها من ألق العبارة، وانتخاب اللفظ .

فالعرب الأول هم أول من أقام لأداة الإعلام الأولى "الكلمة" سوقاً " يتوافد عليه الناس يلقون بضاعتهم في سوقها "آلة الإعلام الأولى". وهي الكلمة والأدباء أدركوا خطورتها . فكان الشاعر المجيد ينتخب راوية حاذقاً ، يمتلك خواص الموهبة: سرعة الحفظ . ودقة النقل وأمانته - وغالباً- ما تنتفتح لديهم - لدى الرواة - القريحة الشعرية.

" زهير راوية أوس بن حجر . وبشامة بن الغدير . الحطيئة وكعب بن زهير، رواة زهير، وكثير راوية الحطيئة .....

(١) نظرية الإعلام الإسلامي منير حجاب ص ٣٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢



والإعلام " يحقق أهدافاً نابغة من احتياجات الجماعات البشرية " (١)

وقد نزل الوحي ابتداءً . " بالبيان الإعلامي . قال تعالى  
:﴿أَفَرَأَيْتَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾<sup>(٢)</sup>

ولا شك أن القرآن هو الرسالة الإعلامية المقدمة ، والمرجع الرئيس للنشاط  
الإعلامي .

وها هي ذي المرأة العربية القديمة تدرك أن خمول الذكر مضيعة ، ونشاطه  
مكسبه . فقد رزقت امرأة "المحلق " ببنات لم يسمع بهن أحد ولم يتزوجن ،  
وبمجرد علمها بمجىء الأعشى - وهو رجل مُفَوَّه . مجدود في الشعر - حتى  
أقنعت زوجها المحلق بسرعة استضافته وإحسان القرى والشراب إليه . وحينما  
شرب الأعشى وسأل عن حاله ، وعن عياله عرف البؤس في كلامه . قال  
بشكل واضح كفيت أمرهن ، وأصبح بعكاظ ينشد .

أرقتُ وما هذا السُّهاد المورق... وما بي من سقم وما بي معشوق

حتى خلص إلى مدح المحلق الذي كان حاضراً للمشهد فسمع :

نفي الذم عن آل المحلق جفنة .. . كجايبة الشيخ العراقي تفهوق

فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون إلى المحلق يهنئونه ... ويخطبون  
بناته ... فلم تمس منهن واحدة إلا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف  
ضعف<sup>(٣)</sup>

(١) مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد العاشر، ص ٤٩٥ - ٢٠٠٥ م .

(٢) سورة العلق، آية ١ .

(٣) العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٤٨ - ٤٩ .



فقول الأعشى ابتداءً.. كُفيت أمرهن قاله بثقة المتيقن على امتلاك الحل ، فهو يعلم أنه ما يكاد يفتح فاهه متغنياً بشرف منبتهن ، إلا وسيتوافد عليهن الخطاب ، وهذا ما قاله ابن رشيقي " والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جرياً يخطبون بناته. لمكانة شعر الأعشى .

فقد أدرك الجميع قيمة ما يلفظه الأعشى ، وأنه شرف باق.. فالكلمة قديماً وُظفت كإعلان ، وهي من وظائف الإعلام . وقد اشتركت هنا الدعاية مع التعليم والإعلان والتوعية في هدف التأثير في اتجاهات الرأي العام . وكانت المرأة تدرِك أهمية الكلمة وتحريكها للنفوس، فتنشد في أحد الحروب للحث والاستثارة :

وَنَفْرَسِ النَّمَارِقِ

إِنْ تُقْبِلُوا نَعَانِقِ

فِرَاقَ غَيْرِ وَاِمِقِ

أَوْ تُدْبِرُوا نَفَارِقِ

ليس هذا فحسب ، بل إن الكلمة قد تغير مواقف أمة.. فقد شعر معاوية بن أبي سفيان بأن الدوائر تدور عليهم وأوشك أن ينسحب فقفز إلى ذهنه قول الشاعر :

مِنَ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لِنِ ثِرَاعِي

أَثُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شُعَاعًا

فَمَا نَيْلِ الْخُلُودِ بِمَسْتَطَاعِ

فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا

فدبت في أوصاله الخفة والنشاط . وكان جهوري الصوت فظل ينادي في القوم، فأشعل حماسهم فقلبوا الهزيمة نصراً. فقد تسيدت العبارة الأدبية والأداء البلاغي اللغوي الموقف ، فحققت الهدف وتمكنت في العقول وغيرت في المسلك .





## الإعلام الإسلامي وأساليب التشويق والإقناع

ربما يتبادي أن العنوان نبيّ للحقائق حيث إن اللفظة بمدلولها الواسع وليدة العصر الحديث .

"ووسائل الاتصال المنظورة كان لها دلالة لغوية واصطلاحية" (١)

يمكن تعريف الإعلام بأنه: تبليغ ما يراد تبليغه بوسيلة الكلام ، أو ما يقوم مقامه من رموز وإشارات". (٢)

والإعلام في اللغة: كلمة مشتقة من : أَعْلَمَ يقال أعلمه إعلامًا بمعنى : أخبره إخبارًا. (٣)

وورد أنه .. : يعني أخبار أو اطلاع الآخرين . ويحوى معنى التعليم ، وهو يعني بالإنجليزية Information: أي المعلومات (٤) وهو يشير لمعنى "التبليغ" يقال : بلغت القوم بلاغًا أن أوصلتهم الشيء المطلوب ، قال تعالى : "ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون" (٥)

(١) الإعلام الإسلامي دراسة في المفاهيم والأصول والخصائص د/ محمد موسى البر، مجلة

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ص ٢٩٣ ، العدد العاشر ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م.

(٢) أجهزة الإعلام ودورها في توجيه المجتمع أحمد عبد العزيز المبارك ص ٦٧ دار القضاء البشرى أبو ظبي ١٩٧٧ م

(٣) مسئولية الإعلام الإسلامي ، رشاد شحاتة أبو زيد ، ص ٨ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٠ م ينظر لسان العرب ١٢-١٧ ، مادة (ع ل م)

(٤) تنمية المجتمع وقضايا العالم التربوية رشاد أحمد عبداللطيف ص ٣٥ دار المعرفة الجامعية

(٥) سورة القصص أية ٥١



وفى معجم محيط المحيط لبطرس البستاني " الإعلام في اللغة: مصدر أعلم، وأعلت كأدنيث، ويقال: استعلم لي خبر فلان، وأعلمنيه حتى أعلمه، واستعلمني الخبر، وأعلم الفارس جعل لنفسه علامة الشجعان، وأعلم الفرس: علق عليه صوفاً أحمر أو أبيض في الحرب، وأعلم نفسه: وسمها بسيما الحرب (١)

والإعلام قديم قدم المجتمع البشري " فمنذ أن وجد الإنسان على هذا الكوكب استخدم بعض الحركات - الشكل البدائي للإعلام - قبل أن يهتدي إلى اللغة، ثم وجد الإعلام بشكله البسيط، نقل الأخبار، والمعلومات بصورة موضوعية (٢)

واختلفت دلالات تركيب: "الإعلام الإسلامي" نذكر منها .

١. تزويد الجماهير بحقائق الدين الإسلامي، المستمدة من كتاب الله وسنة

رسوله ﷺ بصورة مباشرة، أو من خلال وسيلة إعلامية .

٢. الإعلامي هو المرسل أو صاحب الرسالة، لا بد أن يمتلك خلفية واسعة

متعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها، وذلك بغية تكوين رأي عام صائب، يعنى بالحقائق الدينية وترجمتها في سلوكه ومعاملاته (٣).

٣. مفهوم الإعلام الإسلامي: إعلام عام في محتواه ووسائله، يلتزم في

كل ما ينشره، أو يذيعه، أو يعرضه على الناس بالتصور الإسلامي، للإنسان والكون والحياة، المستمدة أساساً من القرآن الكريم. وصحيح السنة النبوية. وما ارتضته الأمة من مصادر التشريع في إطارها (٤).

(١) بطرس البستاني محيط المحيط مادة علم ص ٦٣٩ لسان العرب مادة علم

(٢) الإعلام الإسلامي دراسة في المفاهيم ص ٢٩٤.

(٣) الإعلام الإسلامي الأصول والقواعد والأهداف، محي الدين عبد الحليم، ص ٥٤ - ١٩٩٢

مؤسسة إقرأ الخيرية

(٤) وظائف الإعلام الإسلامي مجلة جامعة القرآن ٢٩٦



٤. فالدين الإسلامي دين إعلامي بطبيعته؛ لأنه يقوم على الإفصاح والبيان<sup>(١)</sup>.

وإعلامنا الإسلامي: قاعدته الحرية . وقيمه المسؤولية . وهو نشاط تعبيرى وهدف سام .

الأصل في الإعلام الإسلامي: أنه إعلام عام غير مخصص لمجتمع مسلم ، أو دولة إسلامية أو حكومة إسلامية ، بل هو إعلام يتوافق مع الفطرة السليمة والسليقة السوية ، إذ تشبع بالدين، وصبغ بصبغة دينية.

والحق: إن الإعلام ضارب بجذوره في البشرية ، لازمها أطوار تطورها، وصاحب الإنسان في حله وارتحاله، يعلم عن وجوده، ويقص الخبر الذي عاشه أو سمعه ، ويدعو إلى فضيلة أو انتهاج وجهة ما ، والتعبئة لها، مميط اللثام عن وجهة نظر قائله ... إن هذا نوع من الإعلان المتناسب، وتلك لب وظائف الإعلام حديثاً.. الأخبار -توجيه الآخرين- إبداء الرأي.

وقد حظيت الكلمة عند العربي القديم بالقداسة ؛ وذلك لإدراكه قيمة الكلمة السيارة، فبذل النفس والنفيس لتكون له لا عليه . وحرصاً على جودتها ، وتميزها الأدبى،و كان ينتقى عباراته ، ويتخير ألفاظه . ولثراء اللغة العربية وفصاحتها لم يجد صعوبة في التوفيق إلى اللفظ المميز أو المعنى المراد ؛ إذ عجت ثروته اللغوية بالبدائل اللفظية مما سهل عليه التواصل وإبداء ما يريده .

ورسولنا الكريم ﷺ أفصح العرب وأخطبهم . ملأت فصاحته الأسماع فنفذت إلى القلوب فاعتلتها، وإلى العقول فأقنعتها . وكان هناك رجال لهم كلمات فاصلات قلدت في جيد الزمان تبين عن الفصاحة العربية، تجلي الذهنية المستوعبة القادرة على ثاقب الرؤية . وبلغ العبارة .

(١) المرجع السابق ٢٩٦



وها هو ذا النجاشي يقع أسير رجل إعلامي، توسل بأسلوب أدبي مبهر؛ إذ صاغ القضية في عبارات محددة، وانتزع الإعجاب بجمل قلائل.. فإذا كان الإعلامي يمتلك وجهة نظر يبين عنها بصدق وشفافية، ويودعها المتخير من اللفظ، الحاوي الشريف من المعنى. فقد حدث هذا مع النجاشي، فما كاد يسمع قول جعفر بن أبي طالب حتى استحوذت عليه العملية الإعلامية؛ إذ وقف مبهوراً أمام فصيح العبارة، وصریح الحجة.. وحدث ما كان يخشاه رسولا مكة؛ إذ كانا يأملان ألا يُمكن من لقي النجاشي؛ خوفاً من فصاحته فيكسب القضية؛ ويؤوبا بخفي حنين. فحينما سمع النجاشي خطبة جعفر تفاعل معها، وتأثر بها وتحقق الهدف - فلم يُسلم المسلمين المهاجرين وردَّ رسولى قريش خائبين.

وعلى إبداع الجملة الإعلامية قديماً، وبلاغتها في الإفصاح والإبانة إلا أنها كانت فردية محدودة الاتصال، فهي مشافهة من الإعلامي إلى المتلقين في حضرته، لكن لصدقها وشفافيتها وشرف الهدف؛ كانت تنشر وتذاع، ويتحمل صاحبها ما يلقي من أذى. وما يُحاك له من مؤامرات. والإسلام زاخر بمواقف تفصح عن أن رجاله إعلاميون شرفاء. قالوا الكلمة الهادفة للمصلحة العامة. وتحملوا توابعها.

وإذا كانت التقنيات الحديثة والعلوم الغربية قننت العملية الإعلامية ووضعت أسساً لها؛ وقعدت القواعد... لو تأملنا تلك الأسس لوجدنا أنها وليدة الأسس التي أرساها رسول الله. وتلك القواعد والضوابط مستندة إلى غيظ من فيض حسن عرضه. وجلال إعلامه. وبهاء حديثه، وبلاغة أدائه القيادية، إذ حاول المسلمون بهداه الاقتداء.

والمواقف التي يستبان منها ذلك تستعصي على الحصر، وتعظم على العد؛ لذا سلطت الأضواء على ثلاثة مواقف. ارتأيت أن أسس وقواعد العملية الإعلامية توافرت فيها بشكل صريح ظاهر؛ تحت مظلة أدبية واضحة الخطوط



،زاهية المعالم ،وإذ قرنت بعض مواقفه بخطبة جعفر بن أبي طالب عند النجاشي؛  
... وذلك لما تبدى منها من إبهار أدائي ، واقتدار أدبي فقد تفردت إبداعًا  
وأدبًا وإعلامًا - ومن مواقفه التي سلطت الضوء عليها: رحلة الإسراء والمعراج  
-صلح الحديبية - خطبة الوداع...

فإذا ما نظرنا إلى أسس العملية الإعلامية الآن لوجدنا إن المطلوب بها : -  
الصدق - الشفافية - العرض المستفيض...وهو ما تحقق في خطبة جعفر؛ إذ  
أبان عن حالهم قبل وبعد الدعوة في أسلوب مقنع لبق حاول المناوئون منعه؛  
لإدراكهم حدة تأثيره .

وفي رحلة الإسراء والمعراج ؛ يتجلى الصدق في وقت عصيب ،بشجاعة  
باقية على مر الزمن.

تلك الحادثة المعجزة ؛ كانت تسرية للرسول عما لاقى من ثقيف . وتشبيثًا  
له لأنه على المحجة البيضاء . وتنقية للأجواء ليزداد المؤمنون إيمانًا . ويُعرف  
الواهنون فيُخلص منهم .ويؤمن جانبهم، ويهدى الله بها من أراد أن يغمره  
بفيض كرمه ومَنه .

وسيطر الصدق - وقص الأخبار الواقعة - ولفت نظر المستضعفين  
المسلمين أن ثمة أمل في الأفق ، وأن دين الله منشور ومعتنق ؛ وتكبد رسول  
الله لصدقه المستديم ما تكبد ،ولاقي من تكذيب وإيذاء قومه ما لا طاقة لأحد به ،  
لكنه اجتازه بعون الله وتوفيقه .

وأسس ومبادئ العملية الإعلامية توافرت في " صلح الحديبية " ، فقد مضى  
رسولنا الكريم بالصلح ،وأبدى من المرونة ما جعل الطرفين المنتمين إليه -  
المسلمون - والمناوئين له - الكفار - في ذهول .



ثم عرض بنود الصلح ، وهو يعلم حنق الصحابة - برؤيتهم البشرية- واستشهد عليها منهم، وفند بنودها أمام الجميع، وسط ذهول واعتراض مكتوم ، فنبل الهدف ، والرؤيا النبوية صاحبت الصدق ، وواجهت المعترضين دون لبس أو تعمية.

ثم كانت خاتمة المسك خطبة الوداع التي عدت ومضات مكثفة تضيء الكثير من الجوانب العقيدية والاجتماعية والفكرية .في صياغة أدبية راقية باقية على مدى الدهر .

"وخطبة الوداع " جماع الدعوة الإسلامية، صَبَّ فيها رسولنا الكريم واجبات المسلمين. وحقوقهم ، إن رصد خطبة الوداع موضوعيًّا ، وإجلاء الموضوعات التي تحدث عنها رسولنا الكريم ، أو أسلوبياً من خلال العرض الباهر... الذي تزاوجت فيه الفصاحة " الفطرية ببراء الألفاظ من العيوب والإخلال ، وتضامن ذلك مع الواقعية الشديدة ؛ حيث أرشد إلى كل ما يتعلق بالنفس . والمال . والمرأة . والعقيدة في اقتدار يوضح أن "المبَلِّغ" صاحب الرسالة ،المتبني هدفاً ما ؛ لا بد أن يكون قادراً على صياغة أفكاره، كقدرته على تنظيمها ؛ والنطق بها ،فقد عاش ﷺ رجلاً مبلغاً مخبراً ، نموذجاً مُحْتَذَى طيلة ثلاثة وعشرين عاماً هي عمر الدعوة . في حله وارتحاله ، في صمته وكلامه ، فقد استعان بوسائل إعلامية أخرى للإخبار والتبليغ كالسكوت (١) الإشارة (٢)والحركة ، والرسول

(١) فمن المعروف أن من أنواع السنة التقرير مثلما حدث مع بلال حينما زاد في أذان الفجر" الصلاة خير من النوم . ولم يعترض رسول الله، ولم ينهه عنها ، وعُد ذلك إقراراً لها ، فاستدامت وبقيت يرددها المؤذنون

(٢) فقد عبر عن كافل اليتيم وقرب ملاصقته له ﷺ بالسبابة والوسطى ، فقد أغنى إيجاز الإشارة عن فصاحة العبارة ، بل حينما استاء المسلمون ابتداءً من صلح الحديبية اقترحت السيدة أم سلمة أن يخرج عليهم فلا يخاطبهم ، بل ليصلي وليحلق وليذبح .ففعل



صلى الله عليه وسلم يساوى بين المتلقين في دعواه العامة . وقد يخص بعضهم بحديث خاص؛ لسمات خاصة به ، فإذا كان الإعلام يدعو لوحدة الرسالة الإعلامية بين الناس وبساطتها لتفاوت أفهامهم . فما هو ذا رسولنا الكريم في الكثرة الكثيرة من أحاديثه يوضح أساسيات الإسلام كقوله " لا يحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق<sup>(١)</sup> - حديث حسن - لكن حينما كان يرسل الوفود تباينت الخطابات المرسلة ، وتباينت شخصيات المرسلين وسماتهم ؛ بما يتناسب مع الموجة إليهم الخطاب بل إن وصيته لرسول ثقيف اشتملت على توجيهات جديدة لم يوجه بها رسول من قبل كل ذلك استولدناه كقواعد من بعد... وقلنا مراعاة المخاطبين ، تصنيف المخاطبين شرائح ، ولا شك أنه كان يملك رؤية واضحة للعملية الإعلامية .. قال ابن إسحاق<sup>٢</sup> حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي قال " إني لغلाम شاب مع أبي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول يا بني فلان : إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنناد، وأن تؤمنوا بي ، وتصدقوا بي ، وتمنعوني . حتى أبين عن الله ما بعثني " <sup>٣</sup> فهناك التزام للصدق مع تحديد للمهمة ووضوح للهدف .. "الإقبال على الله - منعة رسول الله" .. حتى يتم الإبلاغ.

==  
ذلك ، فهب المسلمون اقتداءً واحتذاءً فقد استخدم الحركة لتوصيل التوجيهات؛ إذ كانت أقوى

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلوة والآداب ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ، ص ٤ - ٢٠٢٦ حديث رقم ٢٦٢٦ ، ط دار إحياء الكتب العربية . - وفي المسند ؛ " وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق " مسند أحمد ٢٣-١٦١ حديث رقم ١٤٨٧٧  
<sup>٢</sup> سيرة ابن هشام ١ - ٤٢٣ .







## الفصل الأول

### كلمات ورجال

#### ومكونات الخطاب الأدبي الإعلامي

ظهر الإسلام في بقعة جرداء ، توازن فيها خصال الرشد والغي ، وإن غلبت الأخيرة وسادت ؛ لغياب التوحيد، لكنهم أدركوا أهمية الكلمة وقوة تأثيرها - وهو ما ثبت بعد ذلك بأنها أشهر آلات الإعلام وأقواه - فعرفوا لها قدرها وقدروها ، والنسق الكلامي الأدبي ؛ لا بد أن يكتمل فصاحة وبلاغة وأداءً ، وقد عرفت الكلمة كأهم وسيلة للتواصل البشري ، ولكن هناك عقول قالت كلمتها الجازمة التي ظلت تتردد بين الآذان والأفواه إلى يومنا ، هذا سواء آمنوا أم لم يؤمنوا، وكلها تعكس الثقافة العربية، والرؤية الإعلامية ؛ إذ امتلكت عناصر العملية الإعلامية مرسل - مستقبل - هدف - رسالة - وسيلة ، لكنه لم يكن إعلامًا خاليًا من الفصاحة ، عاريًا من البلاغة ، بل ينضح بالإبداع والتفرد .

وقد تميزت بعض المواقف لرجال أثرت مواقفهم في الدعوة ؛ وكانت مواقفهم ذات دلالة على إدراكهم . فإن مواقفهم ستسجل وتتناقلها الأجيال . لقوة فصاحتهم ، و كثافة بلاغتهم من إبداع المعاني ، والدلالات الكثيرة في الألفاظ القليلة ، و الكلمات في ذروة الفصاحة ، فهي وثيقة الصلة بالإعلام والإنشاء ؛ حيث إن المخاطبين يتحدثون باللغة نفسها ، ويدورون في الفلك اللغوي ذاته ، تبين الكلمات عن عقليات راجحة، ورؤى واضحة وهدف محدد باق.

#### جعفر بن أبي طالب : الصدق الآمن

إن أمة تبدأ العلاقة بينها وبين دينها في إطار "اقرأ" تجسد الرؤيا المطلوبة منها ، وهي تكثيف النشاط المعرفي على كافة مستوياته الفردية والجماعية والكونية؛ لتأكيد القناعات الإيجابية، ولتحقيق الوفاق بينها ، وبين الأطر التي



تحتويها، " إن أسلمة المعرفة ضرورة عقدية أولاً؛ استجابة لدعوى الدين . فأمة أقرأ مطالبة بالقراءة؛ لاستجلاب ضوابطها من فهم الدين . ووصفه الصحيح ، فيتيقن من أحقية هذا الدين بالريادة ، وقيادة العالم؛ لتزويد المسلمين بالمستجدات النافعة على المستوى الفردي والجماعي . مما يمكنهم من القيادة لتفعيل الدين بدلا من الانقياد وراء الآخرين . كما أنه ضرورة إنسانية بكبح جماح النعرة العرقية والدولية والمذهبية ، ويعلى من قيمة الإنسانية .

وهناك مواقف تشهد ببصيرة واقفيها وحسن تبصرهم . وإن التاريخ الإسلامي ليشهد لتلك الشخصيات أنها امتلكت من حسن البصيرة، والوعي الإعلامي ما جعلها تحصد مكاسب للدعوة الإسلامية، أو تمنع خسائر ، فحينما نزلت آية ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>

تبدت البلاغة الإيصالية . واختيار اللفظ المحمل بشحنات من الدلالة، فأصل الصدع كسر الزجاج وانتشار ثنياه ، فهذا ماتم حتى إن أحد الكفار سمع هذا الأمر فسجد في الطرقات ؛ إعجاباً بإبداع القائل .

وكما قال أفلاطون: " إن القائم بعملية الاتصال يجب أن يكون محبباً للحكمة، فيلسوفا بالمعني الواسع للكلمة " <sup>(٢)</sup>

فلإدراك المشركين خطورة الخطاب الموجه حالوا بينه وبينهم، فلو تم الخطاب لتحققت له الغلبة، وأتى الخطاب الإعلامي ثماره؛ لذا قال تعالي ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

<sup>١</sup> (سورة الحجر آية : ٩٤)

<sup>٢</sup> ( الثقافة العلمية للجماهير ، جرجس حلمي عاذر، ص، ١٩ سلسلة العلم والحياة .

<sup>٣</sup> (سورة الحجر، آية: ٩٤ .



فالاتباع العقلي عسيب ( بل إن كثيراً من الصحابة - رضى الله عنهم - استمر أكثر من عقد أو عقدين من الزمان . قبل أن يتم تحوله إلى الإسلام، على الرغم من إعجاز القرآن وبلاغة النبي ﷺ وأهلية البيان - على حد قول د / طه جابر العلواني (١)

الرسول ﷺ كان يريد إيصال الفكرة، وكلمة الحق، والتخيلية بينه وبين الناس، فلا بد لإنجاح العملية الإعلامية من انكفاء الذهنية على عناصرها المتنوعة؛ هضماً؛ واستيعاباً ثم إسقاطها على الأحداث الجارية؛ للوصول للهدف. من خلال أسلوب واضح لا عوج فيه ولا التواء، وعبارة محددة الدلالة لا تقبل اللبس . وهو ما تبدى في مواقف الرجال ... استوعبوا العملية الإعلامية وقاموا بها، وجنوا ثمارها.

وإذا كان الإعلام هو: "إحاطة الرأي العام علمًا بما يجري من أمور وحوادث سواء في الشؤون الداخلية أو الخارجية" (٢).

فإن الدعوة الإعلامية المكتملة الأركان تبدت في الهجرة إلى الحبشة . ففي البداية هاجر أحد عشر رجلاً وأربع نساء . واختيرت الحبشة؛ لأن رسولنا الكريم قال عن بلاد الحبشة :

" فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه. (٣)

(١) إصلاح الفكر الإسلامي ص ٩

(٢) مجلة جوامع القرآن ص ٢٩٥

(٣) حياة محمد، ص ١٦٩ ط ٦، دار المعارف



ثم نمت إليهم أخبار أن المسلمين اشتد ظهروهم في مكة، فقرر المهاجرون الرجوع، وعندما رجعوا إلى مكة وجدوا أن الظلم ما زال مسيطراً، فعاد إلى الحبشة ثمانون رجلاً غير نساءهم وذراريهم، فهاجت قريش وهوجم المهاجرون ومن آواهم، فاستاء أبو طالب وأنشد أبياتاً يوجهها للنجاشي<sup>(١)</sup> يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم

**تعلم - أبيت اللعن - أنك ماجدٌ كريم فلا يثقى لديك المجانبُ**

**وإنك فيضٌ ذو سجالٍ عزيزة ينالُ الأعادي نفعها والأقارب<sup>(٢)</sup>**

واستمرت قريش في هجومها على المهاجرين، حتى إن أحدهم وهو عثمان بن مظعون

عاتب أمية بن خلف ابن عمه وهومن هو في قومه وكان يؤذيه في اسلامه قائلاً :

**وحاربت أقواماً كراماً أعزّة وأهلكت أقواماً بهم كنت تفرزع**

**ستعلم إن نابتك يوماً مئمة وأسلمك الأوباش ما كنت تصنع<sup>(٣)</sup>**

(١) تعريف النجاشي: كان أبوه ملك الحبشة، وهو ولده الوحيد، ولأبيه أخ لديه اثنا عشر ولداً، وبعد وفاة أبيه قرروا أن يتخلصوا منه؛ لشدته وبأسه؛ ويملكوا عمه ليستقر الأمر له، ثم لولده واحداً تلو الآخر، فتستقر الأحوال وبعد أن قتلوا أباه، باعوا النجاشي رقيقاً ثم صعقت صاعقة عمه فمات. ثم أبلوا أولاده واحداً تلو الآخر فوجدوهم خرقى، فجدوا في البحث عن النجاشي ليقر الملك؛... لذا قال قولته الشهيرة للمسلمين ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علي ملكي فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه سيرة ابن

هشام ١ - ٣٣٨

(٢) السيرة النبوية ج ١ ص ٣٥٧ الهيئة العامة لقصور الثقافة

(٣) حياة محمد، محمد حسين هيكل ص ١٧٠



ثم خُشى من تمكنهم في بلاد المهجر ونشر دينهم . وحينما خشيت قريش ذلك ؛ أرسلت عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة؛ مزودين بالهدايا ؛لجلب المهاجرين، فدفعوا من الهدايا كثير للبطارقة ؛ لكي لا يسمع النجاشي خطاب المهاجرين فيتأثر بمنطقهم .

فإذا كانت كل " كلمة من اللغة الإعلامية يجب أن تكون مؤثرة في جمهور المستقبلين كما يجب أن تعرض بطريقة جذابة " على حد قول د / عبد العزيز شرف<sup>(١)</sup> فإن هذا ما حدثا ... فقد تجلت بلاغة رسول رسول الله . أمام ملك الحبشة . جعفر بن أبي طالب ( حبيج النجاشي عن المسلمين ) .<sup>(٢)</sup> فقد بذل عمر بن العاص من الهدايا للبطارقة الكثير لكي لا يستمع النجاشي للمهاجرين خوفاً من أن يقتنع بحججهم وكلامهم

قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ سَلْمَةَ : ثُمَّ أُرْسِلَ النَّجَاشِيُّ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَاَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا، وَمَا أَمَرْنَا بِهِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاءُوا، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ<sup>(٣)</sup> ، فَتَشَرُّوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ سَأَلَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي قَدْ فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي

(١) اللغة الإعلامية ص ١٢٠ المركز الثقافي الجامعي

(٢) ورد حديث الهجرة الأولى للحبشة عن أم المؤمنين أم سلمة ابنة أمية بن المغيرة زوج النبي في حديث طويل حسن رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٢٦٣) ، وسيتم الاقتصار هنا على موقف

( جعفر بن أبي طالب ) وحجابه عن أصحابه أمام النجاشي ؛ نظراً لطول الحديث .

(٣) الأساقفة: علماء النَّصَارَى الَّذِينَ يُقِيمُونَ لَهُمْ دِينَهُمْ، واحدهم أسقف، وقد يُقال بتشديد الفاء .



كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، " فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام "، قال: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك، قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه ، صدرًا من (كهيعص) ، قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة<sup>(١)</sup> واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدًا، ولا أكاد، قالت أم سلمة: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لأنبيئهم غداً عيبهم عندهم، ثم أستأصل به خضراءهم، قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أتقى الرجلين فينا - لا تفعل فإن لهم أرحامًا، وإن كانوا

(١) الكوة غير النافذة، وقيل: هي الحديد التي يعلق عليها القنديل، أراد أن القرآن والإنجيل كلام الله تعالى، وأنهما من شيء واحد / لسان العرب (١٤ / ٤٤١).



قد خالفونا. قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد، قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه، قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثله، فاجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال الله، وما جاء به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه، قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبد الله ورسوله، وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقه حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله اذهبوا، فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم: الآمنون - من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي دبرا ذهباً، وأني آذيت رجلاً منكم - والدبر بلسان الحبشة: الجبل - ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في، فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار" (١) .

لا شك أن من تربى في مدرسة المعلم الأول ، أشرف الخلق قاطبة سيكون له الحظ الأوفر من أخلاقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فها هم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقتدوا به في أقوالهم وأفعالهم ، وتراهم في أصعب الظروف وأحلك المواقف يتأسون به : شجاعة وحجاً وجدالاً حسناً، وخلقاً كريماً ، وما موقف ( جعفر بن أبي طالب) . رضي الله عنه . أمام النجاشي عنا ببعيد ؛ حيث إنه طبّق مع أصحابه أول تعاليم الدين الإسلامي وهو مبدأ الشورى بينهم ، وذلك

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣/ ٢٦٥ : ٢٦٨) .



لما أرسل النجاشي في طلبهم "اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول: والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائناً في ذلك ما هو كائن". فوجد أنهم تشاوروا فيما سيقولوه أمام النجاشي ، وربما يكونوا اتفقوا فيما بينهم على من سيمثلهم في الحديث أمام النجاشي ، فوقع الاختيار على سيدنا (جعفر بن أبي طالب) . رضي الله عنه . ، الذي أجاب بكل شجاعة وثقة حينما سأله النجاشي عن هذا الدين الذي فارقوا دين آبائهم لأجله ؟ فأجابه سيدنا (جعفر) . رضي الله عنه . بقوله :- " أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ... " ، فتجد أن سيدنا جعفرًا استهلَّ حديثه معه بأداه النداء والتنبيه للبعيد (أيها) ، وعلى الرغم من كونهم في حضرته ، وواقفون أمامه ؛ حيث كان المقام يستدعي أداة لنداء القريب ، وفي ذلك يقول ( سيبويه) : " فأما الاسم غير المنسوب فينبه بخمسة أشياء: بيا، وأيا، وهيا، وأي، وبالألِف ، إلا أن الأربعة غير الألف يستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المترخى عنهم، والإنسان المغرض عنهم، الذي يُرون أنه لا يُقبل عليهم إلا بالاجتهاد، أو النائم المستقل. وقد يستعملون هذه التي للمد في موضع الألف ولا يستعملون الألف في هذه المواضع التي يمدون فيها. وقد يجوز لك أن تستعمل هذه الخمسة إذا كان صاحبك قريباً منك، مقبلاً عليك ؛ توكيداً." (١) ، وكان سيدنا جعفر آثر أداة النداء (أي) التي لحقتها هاء التنبيه (أيها) وكأنه أراد بذلك تعظيم الملك ، أو أراد جذب انتباه (النجاشي) لما سيُلقي ، أو ربما جال في خاطره أن كلمات (عمرو بن العاص) التي سبقهم بها إلى النجاشي أثرت عليه وأوقعته في الغفلة فأراد أن يستفيقه فناداه بأداة النداء (أيها) ، ثم تابع سيدنا جعفر حديثه فبيّن حالهم قبل البعثة بأن نعت قومه بأنهم (أهل جاهلية) ، وإنما

(١) الكتاب لسبويه (٢/ ٢٢٩ ، ٢٣٠).





آثر هذا النعت (أهل) للدلالة على أن الجاهلية صارت منتسبة لهم ومختصة بهم ، ف " الأهل يكون من جهة النسب والاختصاص فمن جهة النسب قولك أهل الرجل لقربته الأدين ومن جهة الاختصاص قولك أهل البصرة وأهل العلم... " (١) ، ثم عقب بعد ذلك ببيان تلك الصفات التي جعلتهم أهل جاهلية وهي أنهم كانوا " يعبدون الأصنام، ويأكلون الميتة ويأتون الفواحش، ويقطعون الأرحام، ويسينون الجوار، يأكل القوي منهم الضعيف " فكل هذه الصفات أهلتهم بلا منازع ليكونوا أهل جاهلية ، ثم بيّن لحظة التحول في حياتهم ألا وهي لحظة (ابتعاث) رسول منهم ، وإنما عبر بلفظة (بعث) دون لفظة (أرسل) ؛ لأن البعث " الإثارة والإيقاظ من النوم ﴿قَالُوا يُبَوِّئُ لَنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ

الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ [يس: ٥٢] ،....، والإحياء والنشر من القُبُور" (٢) ، وكأنهم كانوا في سبات عميق فابتعث الله إليهم محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليستفيقهم من سباتهم هذا ويبلغهم جملة من التكاليف الشرعية التي أمره الله تعالى أن يؤديها إليهم ، وهذا هو عمل الرسول ، ثم راح سيدنا جعفر بن أبي طالب في تعداد هذه التكاليف فقال : " دعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام " ولأنهم كانوا مغموسين في الجهالة العمياء لم تلق هذه التكاليف حظاً لديهم ؛ بل راحوا يعتدون عليهم بشتى أنواع الظلم والطغيان ، وهذا ما عبر عن سيدنا (جعفر بن أبي طالب ) بقوله (فعدا

(١) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٨١).

(٢) الكليات (ص: ٢٤٤).



علينا قومنا، فعدبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ( ، وإنما عبر بقوله (فعدا علينا) ولم يقل (فظلمونا) ، على الرغم من وجود تقارب دلالي بين كلتا اللفظتين ؛ حيث تشتركان في معنى عام وهو "مجاورة الحد" ، ولكنهما على درجات ، فالعدوان أشد ثم يأتي الظلم ؛ لأن العدوان تعدٍ لحدود الله ، وهو الظلم الصّراح ، أما الظلم فهو الميل عن القصد والتعدي سواء أكان صغيراً أم كبيراً ، حيث يتراوح الظلم بين أكبر الكبائر وهو الشرك بالله ، وبين ارتكاب صفائر الذنوب " (١) ، وهو فصاحة ودقة في اختيار اللفظ المنضوي على المعنى المراد كما ينبغي .

وكان سيدنا (جعفر) عبر بالعدوان ؛ ليبين شدة ما تعرضوا له من أذى وقهر ، وهذا الذي فسره بقوله ( فعدبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله) ، ثم سمى هذا العدوان قهراً وظلماً فقال: " قهرونا وظلمونا" فجاء بلفظة (القهر) ؛ ليبين أن ظلمهم لهم إنما كان بسبب قدرتهم عليهم ؛ لأن القهر " لا يكون إلا بفضل القدرة ألا ترى أنك تقول ناوأه فقهره ولا تقول حاجه فقهره ، ولا تقول قهروه بفضل علمه كما تقول غلبه بفضل علمه" (٢) وهو تفصيل ثم إجمال في توالٍ فصيح للأساليب العربية ، ثم إن النجاشي بعد هذا طلب من سيدنا (جعفر) أن يُسمعه ما معه من قرآن فلما أسمع صدر سورة (مريم) لم يتمالك نفسه أن أجهد في البكاء ، وكان من علامة هذا الإجهاش أن أخذت لحيته ، وكذلك فعل أساقفته ، ثم انساق وراء فطرته السليمة فقال مؤكداً ومقسماً " إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة" ، أي أن القرآن والإنجيل كلام الله تعالى، وأن مصدرهما واحد ، وإنما قال موسى " ولم يقل: عيسى، مع أنه نبيهم، لما فيه من خلاف اليهود، بخلاف موسى، فلم يختلف أحد

(١) معجم الفروق الدلالية ص ١٤٧ / ١٤٨ .

(٢) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ١٠٥).



من الطوائف المعلومة في نبوته"<sup>(١)</sup> ، ثم برهن على اقتناعه بكلام سيدنا (جعفر) وتبنى رؤيته بشكل عملي إذ أغلظ في القول لعمر بن العاص وصاحبه وقال :

" انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً، ولا أكاد" ؛ حيث أمر ، وأقسم ، ونفى نفياً قاطعاً تأبيدياً ، أن يُسلمهم لهما رغبة منه ، أو رغباً عنه ، ثم كان لهذا الفعل الأثر السيء على (عمر بن العاص) وصاحبه مما دفعه إلى القسم على أن يثأر منهم وذلك بمكره ودهائه ، وأن يببدهم إبادة جماعية وأن يفنيهم ويذهب خصبهم ونعيمهم- كما عبر عن هذا بقوله " أستأصل خضراءهم" . على حد تعبيره . وهنا تتجلى المروءة والشهامة في أخلاق(عبد الله بن أبي ربيعة ) صاحب (عمر) وينهيه عن فعل ذلك ، ويعلل ذلك بقوله : " لا تفعل فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا" ، ومع هذا التنبيه يُصر (عمر) على موقفه ويقسم مؤكداً قائلاً : " والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد" ، ثم يأتي دور (جعفر بن أبي طالب) في محاجته الثانية أمام النجاشي عندما سأله عن قولهم في (عيسى بن مريم ) . عليه السلام . فأجابه بقوله : " نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبد الله ورسوله، وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول" على حد قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى

مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ النساء: ١٧١ ] ، فهذا الرد على وجزاته وقصره نال القبول والاستحسان عند النجاشي فما لبث أن التقط عوداً من الأرض ثم قال : " ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود " الأمر الذي حمل بطارقه أن يتناخروا ، يُقال : " نخر الحمار بأنفه نَخِيرًا أي: مدَّ نفسه في الخياشيم كأنه نغمة خاء مضطربة." <sup>(٢)</sup> ، فهم لم يتمالكوا أنفسهم من هول ما سمعوا وما فاجأهم به

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣/ ٢٧٠).

(٢) العين (٤/ ٢٥١).



النجاشي فعبروا عن دهشتهم بهذا الصنيع اللافت للانتباه ، ومع ذلك لم يعبا  
النجاشي لهم . بل إنه بلغ من شدة تصديقه لجعفر وأصحابه أن قال لهم :  
اذهبوا ، فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم: الآمنون (كلمة حبشية) - ثم عقَّب على  
ذلك بقوله : " من سبَّكم غرم ، ثم من سبكم غرم " ، والسب حدُّه : " القطع " ثم  
اشتق منه الشتم... ، وأكثر الباب موضوع عليه ، من ذلك السب: الخمار؛ لأنه  
مقطوع من منسجه " (١) ، فتجد أن النجاشي بلغ من تصديقه جعفرًا وأصحابه أن  
أجارهم في أرضه وأمَّنهم في ملكه ، ثم إنه نعت من يقاطعهم بأنه غارم ،  
والغارم هو الخاسر ، يقال: " غَرِمَ عنه الدية وغيرها غُرْمًا " ، إذا أداها عنه ،  
وتحمَّل الضرر والخسارة .<sup>٢</sup>

وهو هنا يتحدث عن التحول القلبي الذي حدث لهم نتيجة للإسلام ، "فالقلب  
مقر الفكرة في آلاء الله ؛ والبصر مسارح آيات الله المصونة ، و الاسماع مراسى  
أنوار وحى الله ومحط آياته المنزلة " <sup>٣</sup> لذا نص عليها . فإن ضلوع جعفر بن أبي  
طالب ﷺ بالحديث جسد القيام بالعملية الإعلامية ... إذ أن المتحدث : أو الباث  
له مؤهلات ، فهو رجل فصيح . رابط الجأش " يكلم ملكاً ، وهو مهتد بالإرجاع  
إلى ديار الأخطار ، مقتنع بما يقول ، يهدف إلى إقناع المستمع .

ونجد الخلق العربي الأصيل إذ رفض " عبد الله بن ربيعة " ما انتواه عمرو بن  
العاص " أستأصال خضراءهم " والبهت على المسلمين وتذكيره أن بينهم رحم فلا  
يفجر في الخصومة .

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٦٣).

<sup>٢</sup> سيرة ابن هشام ١-٣٣٦

<sup>٣</sup> ( الديوان في الأدب والنقد عباس محمود العقاد إبراهيم عبد القادر المازني ص ٨٦ مكتبة

الآداب ٢٠١٤



**الرسالة:** بيان أنهم على الحق، موجزة الألفاظ؛ واضحة الدلالة؛ منكفئة على معتقدهم الإيماني؛ مجلية لرسوخه في عقولهم وأفئدتهم؛ واستعدادهم بذل النفس والنفيس؛ لحمايتها ونشرها وتعميمها. والعبارات الأدبية توالفت في بلاغة فريدة؛ جمل قصيرة... أسلوب حقيقي، بعيد عن التورية والازدواج، وكان أدرك أن ذلك يبعده عن " لغة الإعلام؛ لأنها تقطع تيار الاتصال الذي يجب أن يظل مجراه صافيًا نмира (١)

**المستمع أو المتلقى "المرسل إليه"**، الحاكم ومن معه أمامهم دعوتان : إحداهما سفيران لقريش يدعيان مروق المهاجرين، وخروجهم عن دين آبائهم . والأخرى دفع المهاجرين، وإثبات أحقيتهم في الفرار بمعتقدهم ورؤيتهم ...

**أداة الاتصال "الوسيلة"** : القول الفصل الذي حاج به المتحدّث - جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه - المتحدّث النجاشي، مما دفع النجاشي إلى القول : " وهل معك مما جاء به عن مريم من شيء تقرؤه على ، قال جعفر نعم وتلا

قوله تعالى من سورة مريم ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ

نُكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾

وَبِرًّا بَوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ

أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴿٢﴾ فلما سمع البطارقة هذا القول مصدقًا لما في

الإنجيل أخذوا وقالوا : هذه الكلمات تصدر من النبع الذي صدرت منه كلمات

<sup>١</sup> حياة محمد ، محمد حسين هيكل ص ١٧٠ ط ١٦ دار المعارف

<sup>٢</sup> سورة مريم من الآية ٢٩ : ٣٣ .



سيدنا يسوع المسيح .. وقال النجاشي " إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من  
مشكاة واحدة ."<sup>(١)</sup>

**الهدف:** قَوِي الإقناع ، وانبلج الحق، فنطق النجاشي بالحق . ولكن أكان  
اختيار جعفر بن أبي طالب لسورة مريم وقد تنزل من القرآن كثير.. صدفة ...  
كلا، بل هو إدراك ووعي لما عليه المتلقي من ثقافة وفهم ، فالنجاشي مسيحي  
،وحتما يعلم من أخبار السيدة العذراء كثير فلكي يوصل رسالته التمس أنصع  
البيان ... وأقوى الحجج ... وقهر الشك ؛ فوصل لغرضه حتى إن النجاشي قال  
لسفيري قريش: انطلقا ،والله لا أسلمهم إليكما..

فالجملة الأدبية هنا إعلامية، بل الموقف ها هنا يسيطر عليه إعلان فطري  
ذاتي، توصل بالصياغة الأدبية؛ للوصول للهدف، ألا وهو إقناع المتلقين؛ لذا  
أفصح جعفر بن أبي طالب عن سبب تمسكه بالدين وعقد مقارنة بين حالهم قبل  
الإسلام وبعده ، وأجلى جمال وبهاء الإسلام بأسسه الواضحة، ولم يكتف  
المهاجرون بأنهم على الحق ، لكنهم جاهدوا بمهاجمة الفارين منهم - قريش -  
أو اللاجئين له - النجاشي - باعتبار أن تخليه عنهم إهلاك لهم ؛ فأفصحوا  
والتمسوا البراهين المثيرة التي توضح أنهم على حق وامتطوا وسائل الإقناع  
المختصرة المفيدة .

مما حمل النجاشي-المتلقي - و البطارقة من شدة التأثر - على البكاء "  
حتى اخضلت - ابتلت -لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين  
سمعوا ما تلا "٢"

<sup>١</sup> حياة محمد ١٧١

<sup>٢</sup> ( حياة محمد : محمد حسين هيكل ، ص ١٧٠



وكل الحضور ما بين مؤيد. و معارض تساءلوا عن هذا الدين الجديد، ونجد كثافة المعاني في تلك الخطبة الجامعة للأسس الإسلامية بلا إفراط أو تفريط، فقد تكلم جعفر بن أبي طالب بإجمال غير مخل. ولغة فصيحة " واللغة هي الوسيلة الأساسية التي يستخدمها الأسلوب في القيام بوظيفته، ومن هنا كانت ضرورة وضوحها بل وشفافيتها حتى لا تقف حائلاً بين العمل ومتلقى<sup>١</sup> )

ومن هذا التطواف مع سيدنا (جعفر بن أبي طالب ) وأصحابه - رضي الله عنهم . يتجلى مدى اتباعه النهج النبوي في الدعوة الإسلامية، وهو الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، الأمر الذي ترتب عليه إكرامهم خير إكرام وإقامتهم عنده بخير دار مع خير جار، وأما عمرو بن العاص وصاحبه " فخرجنا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به". والعبارات المستخدمة شديدة الدلالة على المعنى، مصورة الحال التي يعاينها المسلمون، والأسلوب فصيح استخدم كثير من الطرائق الأدبية في التعبير .

<sup>١</sup> (موسوعة الإبداع الأدبي نبيل راغب ص ٢١ ط ١ لونجمان ١٩٩٦



## الفصل الثاني

### أدب الجملة الإعلامية بين محدودية الاتصال

#### وقوة التكرير والانتشار

توالت المشاهد في صدر الدعوة، الناطقة بعظمة أبطالها ، والتي تشهد لهم بأنهم وعوا العملية الإعلامية ، والتمسوا المناخ الملائم؛ لكي يبثوا رسالتهم، ويفصحوا عن وجهة نظرهم . سواء أكان قرارهم هو الركون إلى التأييد ، أو الميل إلى المعارضة، وسأشير في عجالة إلى مواقف ثلاثة ، ارتأيت قوة دلالتها وعمق صلتها بالجانب الإعلامي؛ إذ تمثل جذور أولى للعناصر المُشكلة للعملية الإعلامية، في صياغة أدبية ورؤية منها .

أمانة التبليغ ..... الإسراء والمعراج.

الإعلام الصادق ... صلح الحديبية.

صدق التوجيه ..... خطبة الوداع.

وفي الإسراء والمعراج ... نجد النبي ﷺ المطارد ، المُحاط بالأعداء والسفهاء إلا قليلاً ، حينما أُسرى به في تلك الليلة، تخفيًا ومواساة ، آل على نفسه الإبلاغ ، محتملاً ما قد ينجم عنه من زيادة سفاهتهم ،وحدة عداوتهم .. وكان يرى أن المُبلغ عليه أن يقص الحدث كما وقع، فلا إفراط .. ولا تفريط ... أما موقف المتلقين والمبلغين فهم وشأنهم وما يرون .

وفي صلح الحديبية .... اكتمل أدب العملية الإعلامية، وتجلي فيها الوضوح والظهور دون إخفاء أي بند، مع تحمل تبعات الاعتراض والرفض من المسلمين الأول، وألفاظ الصلح واضحة محددة الدلالة لا تتحمل التأويل مما يسفر عن الصدق الخالص في أجل مواقفه .





وخطبة الوداع : هى جماع الدعوة الإسلامية ؛ إذ وضحت فيها الحقوق والواجبات . والالتزامات الفردية والأسرية والمجتمعية، بإجمال واضح برة من الإبهام أو الغموض.



## أولاً : الإسراء والمعراج

### بين جماليات الأداء الأدبي ، والحوار الإعلامي

أيد رسول الله بالمعجزات الكثيرة، سواء أكانت حسية أم معنوية ، وقد كانت مثار عجب وإبهار للمسلم والكافر ، والإعلام هو وضع العلامة على الشيء؛ لإعلامه إظهاراً وإبرازاً ، فإن هذا ما حدث من خلال الكلمة النبوية الدقيقة، وهي تقص خبر الإسراء والمعراج ملتزمة الصدق في الإبلاغ عن خارق... لقوم مكذبين، متخلياً عن نصيحة "ابنة عمه أم هاني " في التأجيل .. وهنا إعلام ينطوي على الكشف عن المعلومات والمعارف والاتجاهات وإبرازها<sup>(١)</sup>

وكان للإسراء والمعراج دور هائل لدى المجتمع

بلاغة و شجاعة النبي . ﷺ . أمام كفار مكة وقت إخبارهم عن رحلة الإسراء .:

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله . ﷺ .: " لما كان ليلة أسري بي ، وأصبحت بمكة، فظعت بأمرى<sup>(٢)</sup> ، وعرفت أن الناس مكذبيّ " فقعدت معتزلاً حزينا، قال: فمرعدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله . ﷺ .: " نعم " قال: ما هو؟ قال: " إنه أسري بي الليلة " قال: إلى أين؟ قال: " إلى بيت المقدس " قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: " نعم " قال: فلم يره أنه يكذبه ؛ مخافة أن يجده الحديث إن دعا قومه إليه، قال: رأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ فقال رسول الله . ﷺ .: " نعم " . فقال: هيا معشر بني كعب بن لؤي حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما، قال: حدث قومك بما حدثتني. فقال رسول الله . ﷺ .: " إني أسري

<sup>(١)</sup> الإعلام الإسلامي المرحلة الشفهية د ابراهيم أمام ص ١٤ مكتبة الانجلو ١٩٨٠

<sup>(٢)</sup> فَطَعُ الْأَمْرَ يَقْطَعُ قَطَاعَةً إِذَا عَظَّمَ وَاشْتَدَّ ، وَهَابَهُ صَاحِبُهُ وَقَرَعَ مِنْهُ . / غريب الحديث

لإبراهيم الحربي (٢ / ٦٣٦).



بي الليلة، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين  
ظهرانينا؟ " قال: " نعم " قال: فمن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه،  
متعجبًا للكذب ثم قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ وفي القوم من قد  
سافر إلى ذلك البلد، ورأى المسجد، فقال رسول الله . ﷺ : " فذهبت أنعت ، فما  
زلت أنعت حتى التبس عليّ بعض النعت "، قال: " فجيء بالمسجد وأنا أنظر  
حتى وضع دون دار عقال أو عقيل فنعته، وأنا أنظر إليه "، قال: " وكان مع هذا  
نعت لم أحفظه " قال: " فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب " (١)

إن الناظر المتمعن لألفاظ هذه الواقعة التي يرويها خير الأنام ، من لا ينطق  
عن الهوى ، تتراءى أمام ناظره علامات القلق والريبة التي ترجمتها تلك  
الألفاظ التي استهل بها النبي . ﷺ . حديثه بقوله: " أصبحت بمكة ، فظعت  
بأمري ، وعرفت أن الناس مكذبيّ ؛ فقعدت معتزلاً حزياً ... "

يجد أنه . ﷺ . ابتدأ الحديث بقوله (أصبحت بمكة) ، وإنما جاء التعبير بصيغة  
(أفعلت ) من ( صبح ) للدلالة على أنه . ﷺ . لم ينتظر وقتاً ؛ ليرتاح فيه من  
هذه الرحلة المباركة ، بل إنه اتجه لمكة بمجرد دخول الصباح ، وهذه أولى  
علامات القلق التي ترجمها في صورة هرعه . ﷺ . إلى قلب مكة ليحدثهم بالأمر  
، ثم ما لبث . ﷺ . أن شعر بعظم الأمر وهوله ، وأن قریشاً ستكذبه لا محالة ،  
فقال في نفسه ( فظعت بأمري ) ، تقول .:

" فظعت بالأمر أفزع فظاعة ، إذا هالك وغلبك فلم تثق بأن تطيقه " (٢) ، فالأمر  
عظيم جاوز المقدار الطبيعي ، فهو خارق للعادة ؛ لذا عقب على ذلك  
ﷺ بقوله ( وعرفت أن الناس مكذبيّ ) ، وعبر بالفعل ( عرفت ) دون ( علمت ) ؛

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٥ / ٢٨ ، ٢٩) .

(٢) لسان العرب (٨ / ٢٥٤) .



لأن "المعرفة تقال فيما يتوصل إليه بتفكير وتدبر، والعلم قد يقال في ذلك وفي غيره".<sup>(١)</sup> ، ولشدة عظم هذا الأمر عبر بلفظة (الناس) وهي "اسم جمع وَلَدَلِكِ يَسْتَعْمَلُ فِي مُقَابَلَةِ الْجَنَّةِ"<sup>(٢)</sup> ، دون لفظة (القوم) وهم " كل من يقوم الرئيس بأمرهم أو يقومون بأمره"<sup>(٣)</sup> ؛ للدلالة على أن عدم التصديق لن يكون في نطاق محدود وهم قومه فقط ؛ بل إنه يمتد ليشمل البشرية أجمع ، فعلى قدر إعجازه يكون الإنكار ؛ لذا عبر عن عدم تصديقهم له بقوله ( مكذبيّ ) دون قوله (منكرين لي ، أو جاحدين لي ) ؛ للدلالة على أن القوم سيكونوا في حالة تصميم على أن الخبر كذب بالقطع عليه ، ولن يكون هناك مجال للتراجع عن هذا التصميم ، حتى وإن جاءهم . ﷺ . بالآيات والبراهين على صدق دعواه ، وهذا ما حدث بالفعل ، فقد ظلوا على موقفهم من التكذيب والافتراء ، ثم تأتي العلامة الأخيرة على قلق النبي . ﷺ . والتي ترجمها بقوله ( فقعدت معتزلاً حزينا ) ، والقعود " هو الانتقال من علو إلى أسفل ، ويقال لمن هو قائم: اقعد"<sup>(٤)</sup> ، بخلاف الجلوس الذي هو " الانتقال من سفلى إلى علو ، ويقال لمن هو نائم: اجلس " ؛ ولهذا جاء بهذا الفعل (جلس) مسنداً إلى عدو الله (أبي جهل) للدلالة على أنه كان على حالة غير القيام ، ربما هي الاتكاء أو ما شابه ذلك ، ثم أتم . ﷺ . صورة قلقه واضطرابه بأن بيّن هيئته . ﷺ . التي قعد عليها بقوله ( معتزلاً حزينا ) أي متحياً منفرداً حزينا حتى إنه من شدة بُدُو هذه الأمارات عليه أثارت انتباه هذا الصنديد المتعجرف (أبي جهل) فسأله مستهزئاً : " هل كان من شيء؟ " ، وإنما أثر هنا السؤال (بهل) دون (الهمة) ؛ لأن المقام

(١) معجم الفروق اللغوية (ص: ٥٠٢).

(٢) الكلبيات (ص: ٩١٢).

(٣) الكلبيات (ص: ٧٠٣).

(٤) معجم الفروق اللغوية (ص: ١٦٤).



هنا مقام الجهل ( من قِبَل السائل ) بالمضمون كليًا ؛ حيث إن " الاستفهام فيها إنما هو عن مضمون الجملة ؛ ولذلك يكون الجواب معها بِنَعْمَ ، أو جَيْرَ ، أو أَجَلَ ، إن أريد الإثبات وبلا إن أريد النَّفْيَ " (١) ، وهنا تتجلى شجاعته . صلى الله عليه وسلم . عند ما أجابه . ﷺ . بأن أخبره بقوله

( إنه أسري بي الليلة ) فابتدأ كلامه بالتوكيد ؛ مراعاة لمقام الإنكار الذي سيقابل به حديثه ، ثم إنه ساق بعد هذا التوكيد الحدث الرئيس وهو قوله (أسري بي) بالبناء للمفعول ، وإنما جاء الفعل مبنياً للمفعول دون النص على الفاعل ؛ اهتماماً بالحدث وهو (الإسراء) دون الاهتمام بالفاعل ؛ لذا جاء السؤال الثاني من أبي جهل بقوله

( إلى أين؟) فكان السؤال عن مكان الإسراء فقط دون السؤال عن مَنْ أُسْرِيَ به ، ثم ما لبث أن هاله الأمر ، فثار متعجبًا بجملة أداها بتنغيم (٢) صاعد فقال له : " ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ وكأنه بلغ الغاية في التعجب والإنكار؛ فلم يسعفه إلا هذا الملمح الأدائي الدال على شدة دهشته ، ولكن سرعان ما تنبه للأمر وسأل محمدًا . ﷺ . أن يجمع له القوم ليخبرهم بما أخبره به فأجابه محمدًا ﷺ نطلبه ، وهنا انفجر أبو جهل بالنداء فقال : " هيا معشر بني كعب بن لؤي حتى انتفضت إليه المجالس ، وإنما أراد حشد وجمع القوم ليسخروا منه . ﷺ . ؛ ولعلمه شدة الأمر وهوله؛ وأنه سيكون موضع إنكار وتكذيب من الجميع ، وبالفعل كان رد فعلهم جميعًا كرد فعل أبي جهل ، حتى إنهم أجابوا بنفس ما

(١) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية (١/ ٤١٢).

(٢) رفع درجة الصوت وخفضه في أثناء الكلام للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة ، ويسمى أيضًا ( موسيقى الكلام ) ، يكون التنغيم صاعدًا في حالة الاستفهام ويكون هابطًا حال الإخبار / المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي د. / رمضان عبد التواب ط٣/١٧٤١٧. هـ ١٩٩٨ م / ص١٠٦ بتصرف يسير .



أجاب به أبو جهل بنبره وتنغيمه ؛ بل إنهم زادوا عليه ملمحاً حركياً آخر وهو التصفيق باليدين ، ووضع اليدين على الرأس من هول ما سمعوا ، ولم نتبين طوايا أنفسهم أهم فرحون بما قال رسول الله ؛ لأنه من وجهة نظرهم العدائية الراضة سيكون حجة لهم وعليه ، أم داخلهم الشك في مصداقيته ولا سيما أنهم لم يجربوا عليه كذب وتبليغهم بهذا الأمر الخطير قد يؤيده ويعضده كل تلك المعانى طويت ولم تسفر عن نفسها في بلاغة إيصالية تركز إلى الإيجاز والإختزال ثم زادوا في ذلك أن طلبوا منه وصف بيت المقدس ، فأجابهم . صلى الله عليه وسلم . وراح يصف لهم البيت ، ثم لم يتحملوا مؤشرات صدقه وإعجازه وقدرته على سوق الحدث الجلل وصوغه فركنوا إلى التكذيب سبيلاً على الرغم من اعترافهم بصدقه في الوصف ؛ بل راحوا ينعنونه بالسحر والشعوذة كذباً وافتراءً وزوراً وبهتاناً .

قال محمد بن إسحاق : وكان فيما بلغني عن أم هانيء بنت أبي طالب رضي الله عنها واسمها هند كانت تقول : ما أسرى رسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي وكان تائماً عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنأ - رسول ﷺ فلما صلى الصبح بنا ، وصلينا معه قال: يا أم هاني، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين " (١).

ففي حديث موجز تحدث عن مسراه، وكيف أنه استغرق بمقياسنا الزمني ساعات.

(١) السيرة النبوية ص ٤٣ حياة محمد ص ٢٠٣

(٣) الإسراء والمعراج دراسة موضوعية أبو المجدرك الدار المصرية اللبنانية ص ٢٠٥



وهنا نجد الإشارة الإعلامية الأولى فهو لم يتحدث عما رأى، وما أمر، ولكنه قص الحدث ذاته، فهو يعلم بعظمة ذلك الحدث وضخامته ورهبته في النفوس، وأن النفوس ستباین في قبوله أو تأخذها رجفة . وقد تطرقت نفس الفكرة إلى ابنة عمه حتى قالت يا نبي الله لا تحدث بهذا الناس فيكذبوك ويؤذوك ، قال والله لأحدثنهموه " فهو الصادق الذي لم يكذب قط فلا بد أن يصدقوه .

قال د / عبد المنعم سيد حسن: " لو كبر حظهم من الروية والأناة لفظنوا إلى أن اختلاق هذه القصة يدخل في نطاق المستحيل عادة ؛ إذ كيف يتصور اختلاق مثل هذه القصة من رجل يواجه من قومه وعشيرته بالتكذيب صباح مساء . حتى أنهم كانوا يجادلونه في بدهيات الأمور " ٣ "

لكن أم هانيء ابنة العم الشفيقة تأمر جارية حبشية : ويحك اتبعي رسول الله حتى تسمعي ما يقول للناس، وما يقولون له " فلما خرج رسول الله إلى الناس أخبرهم، فعجبوا ، وقالوا: ما آية ذلك يا محمد ؟ .... فبدأ يقص الأمارات .. إن قصة الإسراء والمعراج تظهر حتمية ما يجب أن تتصف به الرسالة الإعلامية.

فالمبلغ يواجه ثلاث فئات من المتلقين : الفئة الأولى : كفار معاندون رافضون ما يقول ... من دعوتهم للإسلام ، الفئة الثانية: مسلمون موقنون .. يسировن في ركابه يعتقدون بصحة كل ما يصدر عنه،الفئة الثالثة : رفاق النفوس، منهم من يميل إلى الإسلام أو الكفر بشكل أوضح وتلك الفئة الأخيرة ...وجودها خسارة؛ حيث إنها تزعزع الثقة الإيمانية . وتقلقل ثوابت العقيدة ... وبالحس الإعلامي أبلغ الجميع لكي يستبين النفوس ويمتحن العقول ويثبت القلوب .

المتلقون : المتلقون لتلك الرسالة تباينت ردود أفعالهم ،لكن اتحدوا في الفهم والإنبهار بالأسلوب الأدبي للقائل ... فالكفار ظلوا يسمعون له ، وهو يصف بيت المقدس حينما رفعه الله إليه فوصفه، ويؤمن عليه أبو بكر؛ حيث زاره قبلاً



، وسألوه: ما آية ذلك يا محمد؟ فإننا لم نسمع بمثل هذا قط: قال آية ذلك أني مررت ببعير بني فلان بوادي كذا وكذا فأنفرهم حسُّ الدابة، فندَّ لهم بغير. فدللتهم عليه، وأنا موجه إلى الشام، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان - جبل بينه وبين مكة خمس وعشرون كيلو متر، مررت ببعير بني فلان، فوجدت القوم نيامًا، ولهم إناء فيه ماء، قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه، ثم غطيت عليه كما كان. وآية ذلك أن غيرهم الآن تصوَّب من البيضاء، ثنية التنعيم، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان: إحداهما سوداء والأخرى برقاء (١)

في عبارات واضحة ساق حدث جمل، وفي أسلوب بسيط توالى الدلائل، "زاخرة بالإلهام ومتدفقة بالإيحاءات" <sup>٢</sup> وعلى الرغم من الصدق في الخبر والمخبر؛ إلا أن هذه الآيات المتتالية لم تشرح صدورهم، ولم تجل بصائرهم، ولم تمحص قلوبهم فزادوا غيًّا وضلالة (٣) فهي "معجزة غير كاذبة، يصعب على الأذهان الكافرة تصورها بل هي مما يثير لديهم مزيدًا من الاستنكار والتكذيب، بل قد دفع الإفصاح عن حدوث تلك المعجزة بعض ضعاف الإيمان من المسلمين إلى الارتداد عن الإسلام... أي: الكفر بكل الدعوى حسبما جاءت به الرسالة. (٤)

أما الفئة الثانية: فقد زادتهم تثبيتًا وتصديقًا واقتناعًا فهي تسير في الطريق المنير، يكفيها مجرد السماع حتى يعقبه التصديق، فما كاد الناس يذهبون إلى أبي بكر قائلين: "هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس

<sup>١</sup> السيرة النبوية ج ٢ ص ٤٤

<sup>٢</sup> موسوعة الإبداع الأدبي د نبيل راغب ص ٩ لونجمان ط ١ ١٩٩٦

<sup>٣</sup> الأسراء والمعراج دراسة موضوعية أبو المجد حرك ص ٢٠٥ الدار المصرية اللبنانية

<sup>٤</sup> السيرة النبوية ص ٤٣ حياة محمد ص ٢٠٢





، وصلى فيه ورجع إلى مكة فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا بلى ها هو ذلك في المسجد يحدث به الناس ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يُعجبكم من ذلك!! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه .<sup>(١)</sup>

فلأن الإيمان قار في القلب فما يأتي بعده يستقر بجواره لا يتزعزع.

أما الفئة الثالثة : فسرعان ما ابتلعتها الريبة ، وامتصها الشك فكان خيراً للإسلام والمسلمين الخلاص منها واستبانتها؛ حيث تم التخلص من أصحاب الإيمان الضعيف المشوش ؛ ليبقي فقط أصحاب اليقين الثابت المستقر ففي إيمانهم تقوية للإسلام والدعوة .

فالدعوى الإعلامية هنا واحدة، والمرسل واحد، والهدف واحد، هو توضيح دعم الرسول المؤيد بالمعجزات للإيمان به لكن ردود الأفعال تباينت واختلفت بشكل بين . وفي كل نجد الرسالة واضحة صادقة متسقة مع الإعجاز متناسبة مع التكثيف والإيجاز .

قال تعالى (الرُّيَا الَّتِي آرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا )<sup>٢</sup>

فالرسالة وجهت للقلوب المؤمنة لا للعقول المحللة، فالعقول عاجزة عن إدراك كيفية هذا لأن مجال إدراكها ووسائله الحواس ، والحواس تعطل عند المعجزات والعقل يفهم مغزى رسالة الإسراء المجملة في قوله تعالى: **الزُّيُوءُ مِّنْ ءَايَاتِنَا وَقَوْلُهُ الْقَدْرَآءِ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** فقد بث رسالة مستندًا إلى عين اليقين وهي المعرفة

(١) السيرة النبوية، ج ٢ ص ٤٤

(٢) سورة الإسراء ، آية ٦٠، سورة النجم آية : ١٨



المجربة ومن المعروف أن المعرفة درجات ثلاث :علم اليقين . عين اليقين . حق اليقين . وكان " من كرامته عليه سبحانه أن-خصه بتلك الرحلة الملكوتية العجيبة؛ ليريه من آياته ما استشرف غيره إلى رؤية بعضه، ليرقى به من منزله علم اليقين إلى منزلة عين اليقين <sup>(١)</sup> وفي تبليغه رسالته كان متعدد الخطاب إذ إنه " واضح البيان في تعليمه يكثر من التشبيهات ،وضرب الأمثال وأنواع الاستفادة؛ ليقدم للناس تلك الحقائق الكونية الخفية بصورة بصورة ما يشبهها من الأمور الواقعة المعهودة ... تلك منزلة من سمع ورأى، لا من سمع فقط <sup>(٢)</sup> .

فرسول الله مدرك لأهمية ما يقال ،وحدة أثره وتأثيره في النفوس؛ لذا يسوق الحقائق . ولا يبالي باعتراض المرجفة قلوبهم ، بل يزود الناس بالأخبار الصادقة من المعلومات الصحيحة والحقائق الثابتة التي تساعد الناس على تكوين رأي صائب في واقعة معينة .ثم بدأ رسول الله ﷺ إبلاغ الخبر من خلال الاستفهام "أكنتم صدقني " بما تثيره في أنفس المتلقين من الشغف الملزم للتفكير ، وما تحدثه الجملة من استدعاء تاريخ " المبلغ- رسول الله " معهم إذ لم يكذب قط فهو صادق أمين، ثم تلى ذلك بإجابة التسليم بما سيقوله وقرارهم بصدق رسول الله، ﷺ والخبر هنا "محوره الحوار بين فكر موضوعي يسأل ووقائع أدبية تجيب"إذ التزم السامعون الصمت والترقب لسماع نبأ السماء " <sup>٣</sup> وطريقة إعلان الخبر وصوغه تتناسب مع اللغة العربية "

"واللغة العربية من اللغات التي لا تتميز بحتمية خاصة في ترتيب أجزاء الجملة لكن المؤلف فيها أن نجد بعض الرتب المحفوظة وخاصة في مجال الأسلوب الإخباري ..كتقدم المبتدأ على الخبر ، والفعل على فاعله ، والفاعل على

<sup>(١)</sup> صور من حياة الرسول ص ٦١٠

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٦١١

<sup>٣</sup> النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته د أحمد كمال زكي - لونجمان ١٩٩٧ ص ٢٠٢



مفعوليه " (١) فكلّما الإبلّغ عبارات مكثفة شديدة الوضوح لجلال الحدث ،  
فكلمة هنا مثل الألوان للرسم والموسيقى للصوت ، أدت معنى جمالياً ، وهذه البيئّة  
الجمالية ؛ تغلف كل أقوال رسول الله إذ وصلت إلى حد الكمال الفنّي في العبارات  
القصيرة والطويلة على السواء .

١ البلاغة والأسلوبية د محمد عبد المطلب لونغمان طه ١٩٩٤ ص ١٩١



## ثانياً : مشاهد صلح الحديبية ...

### في ظل المؤثرات الأسلوبية والإعلام المنعج

خروج رسول الله إلى مكة - عقد الصلح .

موقف المسلمين - الآثار المحمودة لخضوع المؤمنين.

إن المواقف الإسلامية المؤثرة - وكلها مؤثرة - بشكل حاد في مسار الدعوة وتوطئتها داخل العقول والقلوب وتسييدها على الساحة .. تجلي نظرة رسول الله ﷺ والذين معه فهم حجيج ، فقد حُشد المسلمون في ذي القعدة ، وأعلن خروجهم معتمرين لا يبعثون قتالاً ... وهنا نجد تحديد الهدف وإعلانه ومصارحة الأطراف المعنية كافة مهاجرين - أنصار - أهل البوادي والأعراب - وتتجلى صفة المبلغ الجليد الذي يتكبد جهاداً مستديماً إذ تكالبت على الدعوة أعداء من أصقاع شتى .. فاليهود والمنافقون الذين يساكنونهم في المدينة ، والأعراب الذين يجاورونهم في البادية . والمشركون يناوئونهم في مكة ... كل أولئك كانوا يشتركون في شعور واحد هـ: والبغض والعداوة للإسلام والمسلمين متعاونين على فكرة واحدة هي: الخلاص من محمد ﷺ وصحبه، ناصبين أنفسهم تلقاء هدفاً واحداً هو : القضاء على الإسلام ودعوته .. إضافة إلى أن المسلمين لا زالوا في شعث من أمرهم ... كل ما يحيط بهم يدعو إلى القلق وعدم الاستقرار، ومع هذا يتحمل رسول الله ، وفي يقين ساق سبعين بدنة . وقيل: كان المسلمون سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة نفر ... وقيل: كان أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة (١).



فالهدف حدد قبلاً من رسالة إعلامية مسموعة مرئية .ولكن مع ذلك توالى على رسول الله رسل قريش ... مكرز بن حفص بن الأخيْف ، الخُليس به علقمة سيد الأحابيش ، عروة بن مسعود الثقفي، ورسول الله ﷺ يعلن الواحد تلو الآخر أنه ما جاء إلا للمعرة .. ثم الرجوع ،حتى إذا لقيه بشر بن سفيان الكعبي قال: يا رسول الله هذه قريش سمعت بمسيرك (١)- يعليها ﷺ فقال: يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب، وماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ،فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أردوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وآخرين ، وإن لم يفعلوا : قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش ، فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (٢). ففي عبارات أدبية متواليّة ،مكتنفة الدلالة ، مترامية الإيحاء يتعجب رسول الله ﷺ من محاربة قريش له، وما تدل عليه من تيبس فكري، واستعراض عضلي، ويطالب ضمناً بالحرية ،والتخلية بينه وبين القبائل، ثم ترقب من ينجح للوصول لهدفه، في عبارات بالغة الوضوح متنحية عن التعمية والإبهام فالعبارة قوية واضحة " وليس في الوضوح ، وقوة الأداء، وحسن البيان، ماينفي العمق لأن العمق ليس معناه الغموض " لذا وضح كلامه ﷺ. بلا لبس أو إبهام (٣)

فقد أعلنت الأهداف صريحة في أسلوب أدبي يتخذ التقرير ركاباً ولا يعنى الأسلوب " سوى نصاعة الفكرة، وقوتها ، وحيويتها ، فالكلمات ليست أدوات الأديب فحسب بل هي أدوات المواطن العادي والحاكم والمشرع في التعبير عن الفكرة أو صياغة القانون بطريقة فعالة (٤) ....

١ السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٢٣

٢ المصدر السابق ج ٣ ص ٣٢٣

٣ الديوان في الأدب والنقد ص ١٢٢

٤ موسوعة الإبداع الأدبي ص ٢١



ثم أرى رسول قريش البُدن -الهدى- يُعلم الحاضر الغائب إنه ما أراد قتالاً، وهنا نجد وضوح الهدف - الصدق من إعلانه الحجة للإقناع- فالفهم ... حتى إذا ما أُشيع عن مقتل عثمان تتجلى الروعة الإيمانية لدى المسلمين فما كاد رسول الله يقول حين بلغه أن عثمان قد قتل: " لا نبرح حتى نناجز القوم " ويدعو الناس إلى البيعة حتى التفت القلوب حوله في بيعة الرضوان بلا تخلف (١) كانت الكلمة البشرية هي الوسيلة الوحيدة للاتصال ،ولكنها كانت محددة الطاقة لا تتجاوز في انتقالها دائرة انتشار الصوت البشرى (٢)

لذا توسل بها رسول الله للرسول الوافدة، ثم فض يده منها عندما وجد طرقاً أخرى أنجح .

وهنا نجد الأسلوب تقريرياً، بعيداً عن المجاز والتحسين ،وقد عُدَّ "صلح الحديبية"مخاطبة من القائل الأعظم رسول الله ﷺ لعقول المسلمين كاجباً جماح رغبتهم في الإنطلاق لنشر وإذاعة دين الله لكنه خاطب جانبهم العقلي لا حواسهم التي تريد الإنطلاق " فالحكم القاطع للذهن والاستبانة الصحيحة للعقل إذ كان زماماً على الأعضاء وعتاراً على الحواس - على حد قول د مصطفى ناصف - (٣) وفي رواية نص الصلح صحيح البخاري (٣/ ١٩٣)

عن عُرْوَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ

(١) قيل لم يتخلف إلا الجد بن قيس، أخو بني سلمة، فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأنى أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته قد خبأ إليها يستتر بها من الناس - صور من حياة الرسول ص ٤٦١ "

(٢) الثقافة العلمية للجماهير ص ٣

(٣) الوجه الغائب ص ٦ الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٦



الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِأَنْعَمِيمٍ<sup>(١)</sup> فِي خَيْلِ لُقْرَيْشٍ طَلِيعَةً، فَخَذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ» فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتْرَةِ الْجَيْشِ<sup>(٢)</sup>، فَاَنْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لُقْرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ<sup>(٣)</sup> الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ<sup>(٤)</sup> فَأَلَحَّتْ<sup>(٥)</sup>، فَقَالُوا: خَلَّاتُ<sup>(٦)</sup> الْقَصْوَاءُ<sup>(٧)</sup>، خَلَّاتُ الْقَصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ . ﷺ : «مَا خَلَّاتُ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا<sup>(٨)</sup>»، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوْتَبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَفْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى نَمْدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبْرُضًا، فَلَمْ يُلَبِّئْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشَكِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . ﷺ . الْعَطْشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيئُ لَهُمْ بِالرَّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ، فَبَيَّنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ

(١) واد بينه وبين مكة مرحلتان / صحيح البخاري (٢ / ٩٧٤) .

(٢) الغبار الأسود الذي أثارته حوافر خيل الجيش / صحيح البخاري (٢ / ٩٧٤) .

(٣) هي الطريق في الجبل وقيل هي موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية. / صحيح البخاري (٢ / ٩٧٤)

(٤) كلمة تقال في زجر الناقة حل حل / تهذيب اللغة (٥ / ١٥٣) .

(٥) مأخوذ من ألح يلح كأنها ألحت على المكان فلم تَبْرَحْ ويُقال ألحت الناقة كما يُقال حرن الفرس إذا اقام ولم يبرح / غريب الحديث لابن قتيبة (١ / ٤١٥) .

(٦) الخلاء في الإبل كالحران في الدابة، خلَّاتِ الناقة خلاء أي لم تَبْرَحْ مكانها تعسرًا منها .

وقد يقال للإنسان: خلَّا يخلو خلْوًا إذا لزم مكانه فلم يبرح / العين (٤ / ٣٠٨) .

(٧) (القصواء) من القصو وهو قطع طرف الأذن سميت به ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن طرف أذنها كان مقطوعا .

(٨) المراد أنه سيجيبهم إلى رغبتهم في الكف عن القتال تعظيما لحرم الله تعالى .



وَرَقَاءَ الْخُرَاعِي فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُرَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةً نُصِحَ<sup>(١)</sup> رَسُولُ اللَّهِ .  
 ﷺ . مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنِ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ  
 مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ<sup>(٢)</sup> ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ،  
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ .: " إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا  
 قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبَ، وَأَصْرَتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَا دَدْتُهُمْ<sup>(٣)</sup> مُدَّةً، وَيُخْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ  
 النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرُ: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ  
 جَمُّوا<sup>(٤)</sup>، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ  
 سَالِفَتِي<sup>(٥)</sup> ، وَلِيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ " ، فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ، قَالَ: فَانطَلَقَ حَتَّى  
 حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ سِئْتُمْ  
 أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ نُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ  
 ذُوو الرَّاْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثْتُهُمْ بِمَا  
 قَالَ النَّبِيُّ . ﷺ . ، فَقَامَ عَزْرُوهُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى،  
 قَالَ: أَوْلَسْتُ بِالْوَالِدِ<sup>(٦)</sup> ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهَمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَلَسْتُمْ

(١) عَيْبَةُ الرَّجُلِ أَي مَوْضِعُ سِرِّهِ وَأَمَانَتُهُ مَأْخُوذُ مِنْ عَيْبَةِ النَّيِّابِ الَّتِي يَضَعُ فِيهَا الرَّجُلُ حِرْمَانَهُ / مَشَارِقُ الْأَنْوَارِ عَلَى صِحَاحِ الْأَثَارِ (٢ / ١٠٦).

(٢) كَلَّ أَنْتَى إِذَا وَضَعْتَ فِيهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ عَائِذَ بَيْنَةَ الْعُوذِ، وَالْجَمْعُ عُوذٌ / فَالْعُوذُ: الْإِبِلُ الَّتِي وَضَعْتَ أَوْلَادَهَا حَدِيثًا. وَالْمَطَافِيلُ: الَّتِي مَعَهَا أَوْلَادُهَا. / مَجْمَلُ اللُّغَةِ لِابْنِ فَارِسٍ (ص: ٦٣٥) ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ (١٣ / ٢٣٦) .

(٣) أَي جَعَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مَدَّةَ صَلَاحٍ وَهَدَنَةٍ.

(٤) يَفْتَحُ الْجَيْمَ وَتَشْدِيدُ الْمِيمِ اسْتِرَاحُوا مِنْ جِهْدِ الْحَرْبِ / مَشَارِقُ الْأَنْوَارِ عَلَى صِحَاحِ الْأَثَارِ (١ / ١٥٢).

(٥) تَنْقَطِعُ عُنُقِي وَتَنْفَرِدُ عَنْ رَأْسِي وَالسَّالِفَةُ أَعْلَى الْعُنُقِ / مَشَارِقُ الْأَنْوَارِ عَلَى صِحَاحِ الْأَثَارِ (٢ / ٢١٩) .

(٦) يَرِيدُ (بِالْوَالِدِ) مِثْلَ الْوَالِدِ فِي الشَّفَقَةِ وَالْمَحَبَّةِ. (بِالْوَالِدِ) مِثْلَ الْوَالِدِ فِي النَّصِيحِ لِوَالِدِهِ .





تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ، فَلَمَّا بَلَحُوا<sup>(١)</sup> عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٍ، اقبلوها وَدَعُونِي آتِيهِ، قَالُوا: ائْتِهِ، فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ . ، فَقَالَ النَّبِيُّ . صلى الله عليه وسلم . نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبَدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيُّ مُحَمَّدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاخَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وَجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيفًا أَنْ يَفْرُوا وَيَدْعُوكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبِظْرِ اللَّاتِ، أَنْحُنْ نَفْرَ عَنْهُ وَنَدْعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا يَدُ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْرِكَ بِهَا لِأَجْبَتِكَ، قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُعِيرَةُ بِنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ . ، وَمَعَهُ السِّيفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ . ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السِّيفِ، وَقَالَ لَهُ: أَحْزَرَ يَدَكَ عَنِ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُعِيرَةُ بِنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيُّ غَدْرٍ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟ وَكَانَ الْمُعِيرَةُ صَحْبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ . : «أَمَّا الْإِسْلَامَ فَأَقْبَلْ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ . بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنَحَّمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحْدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ

(١) امتنعوا وأبوا .



تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةً إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِي، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ . ﷺ . مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَحَّمْ نُخَامَهُ إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَأَقْبَلُوهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ . ﷺ . وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ .: «هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعْظِمُونَ الْبُدْنَ، فَأَبْعَثُوهَا لَهُ» فَبِعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلْبُونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قَلِدَتْ وَأَشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ . ﷺ .: «هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ»، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ . ﷺ . ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ . ﷺ .: «لَقَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ» قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيَّ . ﷺ . الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ . ﷺ .: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ . ﷺ .: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ . ﷺ .: «وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» - قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظِمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا» - فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ . ﷺ .: «عَلَى أَنْ تُخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَتَطُوفَ بِهِ»،



فَقَالَ سَهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سَهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سَهَيْلٍ بْنُ عَمْرِو يَرْسُفُ فِي قُبُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سَهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدٌ أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أَصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَجِزْهُ لِي»، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: «بَلَى فَاَفْعَلْ»، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مِكَرَّرًا: بَلْ قَدْ أَجِزْنَاكَ لَكَ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرِدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عَذَّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا، قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدَوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ، قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدُّنْيَا فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي»، قُلْتُ: أَوْلَيْسَ كُنْتُ نَحَدِّثُنَا أَنَا سَنَائِي الْبَيْتِ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ»، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ»، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدَوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدُّنْيَا فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسَكَ بِغُرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَائِي الْبَيْتِ وَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ، - قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ - فَعَمِلْتُ لِدَلِكِ أَعْمَالًا، قَالَ: فَلَمَّا فَرَعْنَا مِنْ قَضِيَةِ الْكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِأَصْحَابِهِ: «فُؤِمُوا فَأَنْحَرُوا ثُمَّ اخْلُقُوا»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، أَخْرَجْتُ ثُمَّ لَا تُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ



كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا عَمًّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] حَتَّى بَلَغَ بَعْضَ الْكَوَافِرِ فَطَلَّقَ عَمْرُ يَوْمئِذٍ امْرَأَتَيْنِ، كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرِكِ فَتَرَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَزَلُّوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فَلَانُ جَيْدًا، فَاسْتَلَّهُ الْآخَرَ، فَقَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيْدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَمَكَّنَهُ مِنْهُ، فَضْرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، وَفَرَّ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْذُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: . حِينَ رَأَاهُ: «لَقَدْ رَأَى هَذَا دُعْرًا» فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ . قَالَ: قَاتِلِ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ، فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ نِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: .: «وَيْلَ أُمَّهِ مِسْعَرِ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ» فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبَحْرِ قَالَ: وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عَصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اغْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: . نُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ، لَمَّا أُرْسِلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ: . إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] حَتَّى بَلَغَ ﴿الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦] وَكَانَتْ



حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقْرُوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، وَلَمْ يُقْرُوا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا  
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ " .



فهذه الرواية عن صلح الحديبية توضح .

### أولاً : حلم النبي ﷺ على كفار مكة في صلح الحديبية :

وليكن البدء بعرض موقف النبي ﷺ . من مشركي مكة في صلح الحديبية <sup>(١)</sup> (٦ هـ) ، وبيان ما تحلى به ﷺ . من الحلم وضبط النفس ، أمام تعنت قريش وحوْلهم دون دخوله البيت الحرام معتمراً مع أصحابه ، وما كان هذا إلا لعلمه ﷺ . أن الصحابة لو دخلوا مكة عنوة ، وصدتهم قريش لوقع بينهم القتال المفضي إلى سفك الدماء ونهب الأموال ، لكن سبق في علم الله أنه سيدخل في الإسلام منهم خلق ، ويستخرج من أصلابهم ناس يُسلمون ويُجاهدون ؛ لذا كان موقفه ﷺ . المجادلة الحسنة التي تمثلت في عقد مصالحة، ومعاهدة ، ومهادنة <sup>(٢)</sup> واتفاقية مكتوبة ، وموثقة بينه ﷺ . وبين مشركي مكة ، ابتدأها ﷺ . ، لا سيما سيدنا (عمر بن الخطاب) . رضي الله عنه . وما كان منه من إنكار واستياء شديد ، واعتراض على هذا الصلح ، يتجلى هذا الإنكار الشديد في هذه الجملة الاستفهامية التي وجهها مرة إلى شخص النبي ﷺ . ، وأخرى إلى شخص الصديق (أبي بكر) . رضي الله عنه . ؛ حيث قال " أَلَسْتُ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ، قَالَ : «بَلَى» ، قُلْتُ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ ، وَعَدُّوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ ، قَالَ : «بَلَى» ، قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدَّيْنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ : «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ ، وَهُوَ نَاصِرِي» ، قُلْتُ : أَوْلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ : «بَلَى ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ» ، قَالَ : قُلْتُ : لَأَ ، قَالَ : «فَأِنَّكَ آتِيهِ وَمَطُوفٌ بِهِ» " ثم ذهب إلى الصديق وسأله نفس السؤال ، فسيدنا عمر . رضي الله عنه .

(١) الحديث ذكر مطولاً في صحيح البخاري باب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالِحَةِ مَعَ أَهْلِ

الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ / حديث (٢٧٣١) (٣/ ١٩٣) .

(٢) اختص لفظ المفاعلة بما إذا كانت المهادنة من الجانبين ؛ لأن المفاعلة لا تكون إلا

بين اثنين في الغالب . / صحیح الأعشى في صناعة الإنشاء (١٤ / ٤) .



ابتدأ سؤاله الإنكاري بأداة الاستفهام (الهمزة) التي تأتي حينما يكون " المتكلم تارة يجهل مضمون الجملة ، فهو يستفهم عنه ويطلب العلم به ... ، وتارة يعرف هذا المضمون ولكنه يجهل واحداً من شيئين أو أشياء ويسأل عن تعيينه " (١) ، فكلا المعنيين يكون مقصودها " التقرير: وهو توقيف المخاطب على ما يعلم ثبوته أو نفيه ، ... وبعض النحويين أن التقرير هو المعنى الملازم للهمزة ، في غالب المواضع ، وأن غيره من المعاني، كالتوبيخ والتحقيق، والتذكير، ينجر مع التقرير " (٢) ، والفروق . رضي الله عنه . ليس جاهلاً بما يحدث ، إنما هو يطلب تعيين وتقرير الأمر الذي اختلط عليه ، لا سيما وأن النبي . ﷺ . حدثهم عن فتح مكة والطواف بالبيت الحرام ، ويبدو أن الفاروق كان ممن تعجل في هذا الأمر ؛ لذا نراه يقول : " مَا زِلْتُ أَتَصَدَّقُ وَأَصُومُ وَأُصَلِّي وَأُعْتِقُ ، مِنْ الَّذِي صَنَعْتُ يَوْمَئِذٍ! مَخَافَةَ كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ ، حَتَّى رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا . " (٣)

وفي الجهة المقابلة كان هناك (سهيل بن عمرو) الذي أبدى اعتراضه الصريح على البدء بالبسملة كاملة ؛ حيث قال :. " أَمَا بِاسْمِ اللَّهِ ، فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ مَا نَعْرِفُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ " ، فَقَالَ . ﷺ . : « أَكْتُبُ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ » ، قَالُوا : لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَاتَّبَعْنَاكَ ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « وَاللَّهِ إِنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ وَإِنْ كَذِبْتُمُونِي » ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ . ﷺ . : « أَكْتُبُ مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ » ، فالطرفين في حالة استياء واعتراض شديدة ، الأول من جهة (سهيل بن عمرو) الذي عبر عن اعتراضه بجملة شرطية مُصدِّرة بـ (لو) الامتناعية التي تدل على " تعليق فعل بفعل فيما مضى ، فيلزم من تقدير حصول شرطها حصول جوابها ، ويلزم كون

(١) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية (١ / ٤١١).

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٣٢ ، ٣٤).

(٣) سيرة ابن هشام ت السقا (٢ / ٣١٧).



شرطها محكوما بامتناعه؛ إذ لو قُدر حصوله لكان الجواب كذلك ، وأما جوابها فلا يلزم كونه ممتنعا على كل تقدير؛ لأنه قد يكون ثابتا مع امتناع الشرط ، كقوله: "نعم المرء صهيّب لو لم يخف الله لم يعصه" . ولكن الأكثر أن يكون ممتنعا" (١) ، وعلى هذا فإن جواب (لو) هنا ممكن الحدوث ؛ بل هو حادث فعلاً بدليل اتباع بعض أعيان قريش ( كأبي بكر الصديق ، والفاروق عمر ، وعثمان بن عفان ) للنبي . ﷺ . ؛ ولذا عبر سهيل بهذه الجملة لعلمه أن عدم اتباعهم رسول الله إنما هو الكبر والعناد و فقط ، فهم يعلمون علم اليقين أنه رسول الله ، ولكنها الأنفة والكبر ، وفي المقابل يجيبه رسول الله . ﷺ . إجابة الواثق الثابت على حاله بجملة مؤكدة بأكثر من مؤكد «والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني»

( قسم ، وتوكيد ، واسمية الجملة ، ولام القسم ) ، ومع ذلك يتحلى النبي . ﷺ . بأقصى درجات ضبط النفس ، والحلم والأناة ؛ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ . عليه السلام . : «والله لا يسألوني حُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»، وإنما وافقهم - ﷺ - في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب: باسمك اللهم، وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله، وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح ؛ حيث إنه لا مفسدة في هذه الأمور: أما البسملة وباسمك اللهم فمعناها واحد، وكذا قوله: محمد بن عبد الله، هو أيضاً رسوله، وليس في ترك وصف الله تعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك، ولا في ترك وصفه . ﷺ . بالرسالة ما ينفيها، فلا مفسدة فيما طلبوه، وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك.

(١) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (٣/ ١٢٩٧) .





. ثم اشترطوا على النبي ﷺ . أن من جاء منكم لم تردّه عليكم، ومن جاءكم منا ردّتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله، أنكئب هذا؟ قال: «نعم، إنّه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً»<sup>(١)</sup>

يتضح من هذه المقولة مدى بلاغته ﷺ . ، وعمق المعاني التي قصدها المصطفى ﷺ . ؛ حيث إنه عبر عن الانضمام إلى صفوفهم بقوله ( من ذهب منا إليهم فأبعده الله ) ، فجاء التعبير بلفظة ( ذهب ) دون غيرها من مرادفاتها ؛ لأن الذهاب يكون إلى الموضع السحيق البعيد الذي لا رجعة عنه ، ومن ذلك قول الحطيئة من الطويل:

**(ألا حبذا هند وأرض بها هند ... وهند أتى من دونها النأي والبعد)**

وذلك أن "النأي يكون لما ذهب عنك إلى حيث بلغ ... والبعد تحقيق التروح والذهاب إلى الموضع السحيق والتقدير أتى من دونها النأي الذي يكون أول البعد والبعد الذي يكاد يبلغ الغاية"<sup>(٢)</sup> ؛ ولذا عبّ ﷺ . بقوله ( فأبعده الله ) أي تحقق له البعد التام الذي لا أمل معه في الرجوع والعودة ، ثم إنه ﷺ . عبر عن الانضمام إلى صفوف المسلمين بقوله (ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً) ، وإنما جاء التعبير بلفظة

( جاءنا ) دون غيرها من مرادفاتها ؛ لأن " قولك جاء فلان كلام تام لا يحتاج إلى صلة وقولك أتى فلان يقتضي مجيئه بشيء ، ولهذا يقال جاء فلان نفسه ولا يقال أتى فلان نفسه ." <sup>(٣)</sup> ، فالمجيء هنا يقتضي المجيء عن طيب خاطر أولاً، ثم المجيء فقط دون أن يكون مع الجائي شيء ، وهذا ما حدث من مشركي

(١) صحيح مسلم / باب صلح الأُخْدَيْبِيَّةِ فِي الأُخْدَيْبِيَّةِ / حديث ( ١٧٨٤ ) / ( ٣ / ١٤١١ )

(٢) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٣).

(٣) معجم الفروق اللغوية للعسكري (ص: ١٥٢).



مكة مع أصحاب رسول الله ﷺ . فقد كانوا يجردونهم من كل ما يملكون ، وما قصة

( صهيب ) عنا ببعيد ، وكأن النبي ﷺ . قصد هذا من تعبيره بهذه اللفظة دون غيرها ؛ لذا عَقِبَ على ذلك بقوله (سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا) ولا أحسن فرجًا ولا مخرجًا ، ولا جزاءً لهم من الجنة كما قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١] .

والحكمة في كونه ﷺ . وافق (سهيلا) على أنه لا يأتيه منهم رجل وإن كان على دين الإسلام إلا ويرده إلى المشركين ؛ نظرًا للمصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح وما ظهر من ثمراته الباهرة، وفوائده الجمّة التي كان عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلهم، ودخول الناس في دين الله أفواجًا.

ثم توالى بقية بنود المعاهدة تباعًا ف جاء فيها قوله " وإن بيننا عيبة مكفوفة، وإنه لا إسلال ولا إغلال ، وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه... وأنت ترجع عنا عامنا هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل، خرجنا عنك، فتدخلها بأصحابك، وأقمت فيهم ثلاثًا معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب." (١)

وإنما جاء التعبير عن كف الشر بقوله (عبية مكفوفة) ؛ لأن " العرب تكني عن القلوب بالعياب ؛ لأن العياب مستودع الثياب والقلوب مستودع السرّاء وإنما يخبأ في العيبة أجود الثياب ويكتم من الصدر أخص الأسرار" (٢) ، فكما تُشْرَج

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣١/ ٢١٨ ، ٢١٩) .

(٢) غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ١٣٧).



العيبة على ما فيها من المدخر ، كذلك تشرح الصدور وتنطوي على ما فيها من أسرار، فكلا الطرفين يبتغي المعاهدة ، وإن كان في النفوس شيء ، ثم جاء التعبير بلفظتي ( لا إغلال ولا إسلال ) ، " الإِغْلَالُ: الْخِيَانَةُ أَوْ السَّرِقَةُ الْخَفِيَّةُ" (١) ، والإِسْلَالُ: " السَّرِقَةُ الْخَفِيَّةُ. يُقَالُ سَلَّ الْبَعِيرَ وَغَيْرَهُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ إِذَا انْتَزَعَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَبْلِ، وَهِيَ السَّلَّةُ وَأَسَلَّ: أَي صَارَ ذَا سَلَّةٍ، وَإِذَا أَعَانَ غَيْرَهُ عَلَيْهِ" (٢) ، ولا أنسب من هاتين اللفظتين من التعبير عن الخداع والمكر ونقض العهد ، سواء بالنفس أم بإعانة من الغير ، فكلا اللفظتين فيها خفاء وتخافت وهذا ما يتطلبه الموقف فمن عاهد عهدًا عليه الالتزام بشروطه عيانًا ، وإلا نقضه بالخيانة الخفية سرًا.

وهكذا وقع الصلح بين الطرفين على وضع الحرب، بحيث يأمن الناس فيها، ويكف بعضهم عن بعض، وألا يدخل البيت إلا العام القابل ثلاثة أيام، ولا يدخلوها بالسلاح، وإنما اشترطوا ذلك ليكون علمًا وأمانة للسلم، إذ كان دخولهم صلحًا.

- **عقد الصلح** : فبعد ما علم رسول الله ﷺ بعدم مقتل عثمان ، وأرسلت قريش سهيل بن عمرو (٣) للصلح ، فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٨٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٩٢).

٣ قد أراد عمر بن الخطاب نزع ثنيتي سهيل بن عمرو ، الذي سلط لسانه على المسلمين سابقًا مهاجمًا محقرًا فحينما وقع في الأسر ببدر قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو حتى لا يقوم عليك خطيبًا بعد اليوم . فأجابه الرسول العظيم : كلا يا عمر ، " لا أمثل بأحد فيمثل الله بي وإن كنت نبيًّا " ، ثم أدنى عمر منه وقال ﷺ يا عمر لعل سهيلًا يقف غدًا موقفًا يسرك" وقد كان هذا الموقف يوم وفاة الرسول، ووقع الناس في خبط شديد في مكة فقام سهيل بن عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ



الكلام ، وتراجعا ثم جرى الصلح بينهما . و نجد هنا تشابك الخيوط واختلاطها بشكل يوشك أن يمزق الروابط بين المسلمين، فالمسلمون قد تأهبوا للحج ، واجتازوا منحنيات ومرتفعات سائقين بدنهم؛ أملاً في الطواف مرفوعي الرأس ، ثم عقد الصلح فأمروا بالرجوع ، فحزنوا حزناً شديداً حتى إن عمر بن الخطاب خاطب: **أَوْلَيْسَ كُنْتُمْ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبِرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ»**، قَالَ: **قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَأِنَّكَ آتِيهِ وَمَطُوفٌ بِهِ»** ثم ذهب إلى الصديق وسأله نفس السؤال ، فالرسول سراج منير لا يستخفي، ولا يستتر بقول أو فعل . بل هناك وضوح ؛ ليقينه بأن الله لن يضيعه ، ورد على المسلمين بتلك الجملة: " أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني والعبارة من ذكر المسند "أنا" وذكر المسند إليه عبد الله ورسوله بما يوحى بكامل الرعاية وهي تتوافق مع قوله تعالى " فإنك بأعيننا " لن أخالف أمره " محكى القول " تعكس أن ثمة أمر أمره رسول الله ﷺ ، " وهو أن يمضى في إمضاء الصلح ، وهنا نفيان لن أخالف ، لن يضيعني بما يوجه بأن الإمتثال لأمر الله يعقبه الفلاح ، فلا ضياع ، والجملة بها خمسة أسماء؛ دالة على الثبوت والدوام ، وفعل " يضيع " بما يوحيه من التجدد والحدوث

وقال إنه لم يزد الإسلام إلا قوة . فمن رأينا ضربنا عنقه فترجع الناس وكفوا عما هموا به . وقد حزن لمواقفه السابقة ضد الإسلام والمسلمين فقال: " والله لا أدع موقفاً مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله - ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت مع المسلمين مثلها ، لعل أمرى يتلو بعضه بعضاً " ورغم حبه موطنه مكة إلا أنه بعد مشاركته في غزوة اليرموك وبسالته فيها . أبى الرجوع قائلاً : سمعت رسول الله ﷺ : مقام أحدكم في سبيل الله ساعة خير له من عمله طوال عمره ، وأبى إلا الرباط في سبيل الله حتى الموت ولم يرجع إلى مكة ، ومات مرابطاً ، ينظر السيرة النبوية جـ ٤ : ٣١٦ حياة محمد حسين هيكل ص ٥١٣ - رجال حول الرسول ، خالد محمد خالد ٣٦٧



.. وهنا نجد حسن المواجهة بعبارة أدبية بليغة وثبات الإعلامي و يقينه برسائلته فدائمًا ما كانت إجابته في جمل أدبية قاطعة فها هو ذا يستقبل عمر بن الخطاب الذي كان حزينًا مستنكرًا شروط الصلح متصورًا بنظرته البشرية أن فيها ظلمًا وإجحافًا للمسلمين ورسول الله يعلم أنه النصر والفتح. حتى قال عمر ما زلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيرًا. ونجد التساؤل ها هنا ينكفيء على استنكار بنود الصلح ... وأمر الصديق التزم غرزه ، مسبوق بالنداء ، فالنداء به التفاته اهتمام وعناية وملحق بأمر إلزم الغرز - ثم إياب أبو بكر لإقراره بشهادة أنه رسول الله ، وتأمين عمر على ذلك في حوار ينضوى على الرفض المذهب ، وغن كان يشهد بكل ذلك إلا أنه يرفض الصلح الذي ظاهره العذاب وباطنه من قبله الرحمة لكنه لا يدري



## خطوات الصلح وشفافية الإعلان

للصدق ظلالة (١) ففي ظلال الثبات والاطمئنان والإخلاص استعرض الفريقان المتفاوضان بنود الصلح ... و ذلك بعد رجوع عثمان بن عفان ؓ وقد استعرض الفريقان النقاط التي يجب أن تَضْمَنَهَا معاهدة الصلح واستعرضا في (٢) مباحثاتهما مختلف القضايا التي كانت تشكل مثار الخلاف بينهما " أترى لهذه الخطوات المتوالية دلالة من وجوب التفاوض سراً وتحرير منطقة الخلاف - كما قال أرسطو - وتحديدها ثم بحثها والوصول إلى الحل ثم إعلانه على الملأ في عبارة وجيزة، ومعنى واضح .. فهكذا تدار الأمور الإعلامية ، تبحث العبارة الأدبية ثم تتفق الخاصة، ثم تنظر العامة والجماهير ولا بد من الصدق والوضوح المغلفين للنظريتين.

" وعند الشروع في وضع الصيغة النهائية للمعاهدة وكتابتها ؛ لتكون نافذة المفعول رسمياً حدث خلاف بين الوفدين على بعض النقاط كاد أن يفتر سير هذه الاتفاقية ، ونستحضر المشهد من رؤيا إعلامية تنشد تحقيق هدف ما " (٣)

فقد حاول مفاوض الكفار انتزاع أكبر نقاط في جانب قريش، ولتحقيق ذلك توالى اعتراضاته على الثوابت عند المسلمين ، مما جعلهم يثورون ويرغبون في الانسحاب، لكنهم امتثلوا لإرادته ؓ وأمضوها على مضض .

لأن الطرف المنكفي على الحق - المسلمون - يحرصون على التمسك به وأبتدأ العهد بأمره علياً بن أبي طالب - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ . أن يكتب بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ

<sup>١</sup> السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل الصلح د/ على محمد -ج- ٢- ص ٢٧٠ ، مؤسسة إقرأ ، ط

٢٠٠٥ ١

<sup>٢</sup> المرجع السابق ج ٢- ص ٣٨٤

<sup>٣</sup> المرجع نفسه ص ٢٨٥



الرَّحِيمِ ، فقال له ( اكتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) ، وبالنظر لمطلع هذه الاتفاقية يتضح أنها استُهلّت بهذه اللفظة المؤذنة بالإلزام والوجوب (اكتب) ؛ حيث إنها تقبل نون التوكيد، كما أنه يُفهم منها معنى الأمر، كما قال (المرادي):

### وسم بالنون فعل الأمر إن أمر فهم (١)

أي "وعلم فعل الأمر بالنون المتقدمة وهي نون التوكيد، لا مطلقاً، بل يشترط أن يفهم من اللفظ معنى الأمر، فعلاصة الأمر إذن مجموع شيئين: قبول النون وإفهام معنى الأمر، نحو "أقبل" فإنه يقبل النون، ويفهم الأمر. فهو فعل أمر" ، ولعل النبي - ﷺ . ابتدأ بهذه اللفظة ليُلزم جميع أصحابه بالرضوخ والسمع والطاعة لما سيحدث من اتفاق ، وكأنه - ﷺ . علم بما سيكون في هذا العقد من جور وظلم فأحب - ﷺ . أن يُلزمهم بالسمع والطاعة، وعندما سمع مفاوض " قريش سهيل بن الأمر بكتابة

" ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) حتى اعترض صارخاً لا نعرف الرحمن اكتب )  
بسمك اللهم ( فثار المُعلنون بهذا الاعتراف وضج " الصحابة - قائلين هو  
الرحمن ولا نكتب إلا الرحمن "

ولكن المُبلغ ﷺ الذي يرى ما لا يرون ، ويريد أن ينجز ما يهدف إليه ، وهي تخلية قريش بينه وبين القبائل ، وتنحيها جانباً؛ لينشر دعوته في أمن وتمشياً مع سياسة الحكمة والمرونة والحلم قال للكاتب ( اكتب باسمك اللهم ) فهو يؤمن أن "اللهم هو الرحمن وأن لم يُنص على ذلك مزيلاً للمعضلة . ففاجأه سهيل باعتراض ثان على قوله ﷺ " هذا ما صالح عليه رسول الله " وقبل أن يكمل الجملة قاطعه قائلاً: لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك ، واتبعتك ، أفتغرب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله ؟ اكتب اسمك واسم أبيك نفسه "

(١) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (١/ ٢٩٣) .



فعاودت الثورة للمشهد التفاوضي .... فما كان من رسول الله إلا أن أمر الكاتب علي بن أبي طالب - بمحو كلمة رسول الله ﷺ حتى سيطر الهدوء والصمت ، وهنا يتبدي في المشهد أطراف أربعة.... متفاوضان، وشهود يتبعون كل فريق .

فأحد المتفاوضين يريد أن يحصد أكبر المكاسب " سهيل بن عمرو قبل إسلامه "... والآخر يهدف ويبغي الأمن العام الذي يكفل لدعوته الانتشار... سيدنا رسول الله.... المؤيدون للأول - المشركون - صموت يعجبهم ما يفعله؛ واهمين أنه الأحرص الجالب للنفع المكبل للدعوى ، والواقفون خلف الثاني - المسلمون - يقفون على صالب الأرض يشيع بينهم التعجب؛ لموافقة رسول الله - مفاوضهم - على تعسف الطرف الأول ... لكن توجيه الرأي العام ها هنا واتجاهه يتجه إلى ما يُرضى المتفاوضان في رؤية واضحة لنصرة رسول الله ، وفي رؤية غائمة موهمة نصرته المشركين.

إن مواقف رجال رسول الله ﷺ لتحتاج إلى وقفات، فهي غيظ من فيض عظمته ﷺ فرسولنا الكريم مواقفه تشهد إلى جانب صفته وعصمته بالنبوة ، و رهافة حسه ، وعمق شعوره ببلاغته وقدرته الفائقة على الإقناع والتأثير . والكلمات معظمها أفعال

وسهيل في حوار مع رسول الله يوم الحديبية يدل على حصافة وذكاء وحينما أسلم لم يكن واقعا تحت ضغط ، أو مستجيبا لخيار مفروض عليه بل كان " إسلام رجل بهرته عظمة محمد وعظمة الدين الذي يتصرف محمد وفق تعاليمه ، ويحمل في ولاء هائل رأيته ولواءه على حد قول - خالد محمد خالد - ينقل وجهة نظر المشركين ويصر عليها . ويعلنهم بنصرهم ورسول الله في حلم وتؤدة.....صبور على الطرفين - المشركين - الواهمين النصر .... والمسلمين المُشكل عليهم النصر.





فقد رأى ألا غضاضة ولا مفسدة في هذه الأمور ، أما البسمة و بسمك اللهم فمعناها واحد . وهو طلب البركة من خلال ابتداء الكلام بالبسمة ، ونلمح عدم رفض المشركون بل هم من كتبوا " بسمك اللهم استجابة للجبلية الأولى والفترة السليمة . وكأن ذلك قار في النفوس فلم يعارض رسول المشركين -سهيل بن عمرو - البداية الحسنة -التي إبتدأها رسولنا الكريم ﷺ فلم يستطع الإصرار على التخلص من البسمة نهائياً قوله : " محمد بن عبد الله هو محمد رسول الله وليس في ترك وصفه سبحانه بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك ولا في ترك وصف النبي ﷺ بالرسالة ما ينفىها فلا مفسدة ، فيما طلبوه ولكن المفسدة تكون فيما لو طلبوا منه أن يكتب ما لا يحل من تعظيم ألهتهم ونحو ذلك: " وهو ما نظر إليه رسولنا الكريم وقد حوت بنوداً واضحة (١).

١ . باسمك اللهم .

٢ . هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو .

٣ . اصطلاحاً على وضع الحرب على الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض .

٤ . على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجاً أو معتمراً وبيتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً مصر أو الشام يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله .

٥ . على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يرده عليه .

١ السيرة النبوية ص ٢٨٥ .



٦. وأن بيننا عيبة مكفوفة وإنه لا إسلال ولا إغلال<sup>(١)</sup>.

٧. وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخله ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ( فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهد هـ ، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم ) .

٨. وأنك ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل فرحلنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمت فيها ثلاثاً معك سلاح الراكب ، السيوف في القرب ، ولا تدخلها بغيرها.

٩. شهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين ففى لغة واضحة كتبت الوثيقة ، فإذا كانت اللغة " شفرة : أى: نسق اصطلاحى من الإشارات متفق عليه بين المرسل والمستقبل بهدف إعلامى " على حد قول د عبد العزيز شرف-رحمه الله - فقد وضعت الموائيق بينهما مستوعبة مختلف الأحوال<sup>(٢)</sup> وقد رفضها الصحابة بنظرتهم البشرية ، وواجهوا بنودها مستفسرين قبول رسول الله برؤيته الربانية لكنهم أتموا العملية التصالحية عليها ، مع رسولهم مبتغين الإصلاح، والمعروف أنه "إذا اشتركت كثرة من الناس في شعور واحد وتداعت إلى غرض متحد كانت لهم بذلك وحدة معنوية وصلته نفسية تؤثر في حياة هذه الكثرة وتفكيرها"<sup>(٣)</sup> وهو ما حدث ...فسرعان ما استبانوا هدف الرسول ورجاحته فقد توكل رسول الله ﷺ - رغبة في تنفيذ الأمر الإعلامي - على الله - ويقول الإمام سهل بن عبد الله من أئمة الصوفية " التوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته فمن بقى على حاله فلا يترك سنته ، أعلن الرسول بنود الصلح كافة ما

<sup>١</sup> صور من حياة الرسول أمين دويدار ص ٤٦٢ - دار المعارف ط ٥ فوجود عداوة لا ينافى الوفاء والإلتزام بالعهد.

<sup>٢</sup> اللغة الإعلامية ص ٧١

<sup>٣</sup> من هدى القرآن أمين الخولى ص ٣٣ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٥



يُرَضَى عنه وما يُرْفَضُ مرسياً لمبدأ الصدق<sup>(١)</sup> وعبارات الإتفاقية شديدة الوضوح باللغة التحديد بما لا يسمح وقوع أى لبس أو التواء. لفظ " صالح " اسم فاعل من المصالحة - المفاعلة وكتابة اسم الرسول ﷺ اللهمت تشير بطرف خفى إلى أنه هو الأقوى، إذ أن الأقوى هو الذى يوافق على المصالحة أو يرفضها، بعكس ما لو تصدر اسم سهيل أولاً؛ فيوحى بأنه هو من يلتمس الرضا وكف الحرب منه.

- تكرار لفظ اصطلاحاً، تأكيد لمضمون الصلح وشيوع عقب الأمن والطمأنينة وكف الحرب، وهو يلقي بظلاله أن ثمة خصومة وخلاف كانت قائمة ثم تم الصلح وخفت وهج الخلاف، والتعبير بفيهن الظرفية أى في تلك السنين العشر ونص على أن تلك الوصية لازمة للطرفين بعضهم عن بعض.

وتحديد المكان - من قدم مكة - دليل على أهميته ، "من أصحاب محمد" لم يقل من المسلمين ، وكأن الكبر والمعاندة لازالت تملأ عقله ، لكن ذلك اعتراف ضمنى بالمغايرة ، فمحمد وصحبه يختلفون عن باقى الزائرين ، وهنا حسن تقسيم فزائر مكة إما حاج أو معتمر أو تاجر يبتغى فضل الله ولا صنف رابع لأولئك ، ونطقها صراحة من حيازة الزائر الأمن على نفسه وماله .. ولم يقل على عرضه باعتبار أن العرض مصان لا يمسه أحد بداهة . واختيار لفظ قدم- أتى - يحمل في طياته القصد مجتازاً اختيار "الإجتياز " إذ يجتاز الأمصار ليصل لهدفه ولا يدخل أحد الأمصار ليقيم بها .وعبارة من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليه ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يرده عليه ، والعبارة تتوهج ظلماً للمسلمين وتنكفئ على قمة الثقة والعدل ، فمن أسلم بغير إذن وليه فرده رسول الله ﷺ سيحيمه الله وسيحصل له من أمره مخرجاً وفرجاً وسيجعله سبباً لتشريع ورحمة ... لكن المسلمون ممن قر

<sup>١</sup> جهادنا المقدس د عبد الحلیم محمود ص ٨١ مجمع البحوث الإسلامية



الإيمان في قلوبهم لن يتقهقروا لديار الكفر ثانية ، بعد أن أنقذهم الله منها وهى ثقة وطيدة قارة في قلب رسول الله أن المسلمين لن يرتدوا ، ومن يرتد منهم فلن يضر الله شيئاً؛ فقبل ذلك وقلبه مطمئن بالإيمان . وبيننا " عيبة مكفوفة " تركيب بليغ أى أن الصدور بها ما بها لكن لا يتعرض أحد للأخر بأذى أو يظهر العدواة

وإتاحة المجال للمؤيدين ليدخل كل فريق في حلف من يؤيده وسرعة استجابة الحضور ، غز توابت خزاعة لعقد محمد وعهده ، وبنو بكر لعقد قريش وعهدهم ، ثم كانت واسطة العقد المميطة اللثام عن كبر قريش وظلفها وإبائها الدخول في الإسلام آ، لا وهو خوف ضياع هيبتها ومكانتها ، ففى لغة واضحة أوصل رسول الله ﷺ ما يريد لمؤيديه ومعارضيه مخاطباً عقولهم ليجلب لهم النفع " فللغة تستطيع أن تعطى معايير خاصة للحسن والقبح يصح أن تلتمس وأن تحجب حدة الخلاف حول ما يحسن في نظر العقل وما يقبح " لذا جاءت بنود المعاهدة بلغة واضحة محددة

<sup>١</sup> الوجه الغائب مصطفى ناصف ص ٨-٩



## الإعلامية الخطابية

### في ظل الحوار الفنى واستشراف العقل

تعلق المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها برسول الله ﷺ، وحينما انتقل إلى الرفيق الأعلى مادت الأرض بالمسلمين في مكة و المدينة وكانت المدينة مزدانة برسول الله وصحابته الأبرار ، أما مكة فكثير من أهلها كانوا حديثي عهد بالإسلام فوق وقع خلط في النفوس واضطراب في العقول فإذا بسهيل يقف معلناً رأيه في وضوح يجلى الظلماء ، وثبات يقر المقلقل، وهو ولا شك رجل ذو بصيرة ورؤية مستمدة من عمق إيمانه مرتكنة إلى ما قر في فؤاده من يقين الإيمان

فالمعاهدة بدأت باتفاق الطرفين على ذكر الله .- .المؤمنون- من معتقدتهم الإيمان الصحيح -والمشركون - موافقة للفطرة التي وإن شابها بعض الفساد إلا أن الإيمان لا زال قاراً في النفوس . وقد حدد المتفاوضان - رسول الله ، وسهيل بن عمرو -الهدف - ألا وهو: وضع الحرب - جلب الأمن ، معالجة الطرف الأقوى ذو الحق - المسلمون الطرف الثابت على المبدأ -المشركون - والتجاوز عن تعسفهم لتحقيق هدف أكبر

" دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما " (١) فالرسول ينظر إلى ما وراء المعاهدة من الفتح العظيم من وراء ستر رقيق، فكان يعطي المشركين ما سألوه من الشروط ، التي لم يحتملها أكثر أصحابه ورؤوسهم وهو ﷺ يعلم ما في ضمن هذا المكروه من محبوب " (٢) وما أنضوى عليه هذا التضييق من فرج.

١ السيرة النبوية عرض وقائع ج ٤ ص ٢٨٧

٢ المرجع السابق ج ٤ ص ٢٨٨



إضافة إلى أنه يرى ما لا يراه غيره، فقد استطاع أن يدخل أطرافاً أخرى كمساندين له في المعاهدة قبيلة بنى بكرى عهد قريش، وقبيلة خزاعة في عهد الرسول الله، والصلح الذي تم بين قبيلتي خزاعة وكنانة، وعقد الصلح بواسطة طرف محايد " الحليس بن علقمة " سيد الأحابيش الذي كان له من الفطنة والذكاء مما ساعد على إبرام الاتفاقية وفعل مبدأ الإلزام لكل الأطراف بما جاء في بنودها وهو ما ترتب على إعلانها وشهود حدوثها من جانب المعنيين

**موقف الصفوة:** أدب الإعلام يقتضي فصاحة العبارة مع تحديد الهدف، و صاحب الرسالة لا يعنيه إلا الوصول إلى هدفه وتحقيق مبتغاه؛ وإن عارضه فئة غير قليلة، وإن اعترضه من يحب... فهذا هو ذا سيدنا عمر يوافق غيره من الصحابة ويرفض - في البداية - الوثيقة ويرى أنها ظلم ويتجلى روعة الرقي في حوار يظهر حلم " الأعلى المؤيد العالم" على "الأقل الغافل عن تلك المزايا"... هذا الحوار يظهر سلامة السرائر ونقاءها فلم ينضو الصحابة على رفضه وأخذوا مواقفًا سلبيًا... أو أظهروا خلاف ما يبطنون، بل في شكل صريح رائع يظهر انبلاج الإسلام وقبوله للآخر وعدم رفض الاستفسار أو حتى المعارضة والرفض، فالساحة تمور وتمتليء الصدور استفسارًا واستفهامًا لسر القبول، حتى ذهب الفاروق لرسول الله مستفهماً.... فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال " إنى رسول الله ولست أعصيه، وفى رواية أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني فقال عمر أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به قال " بلي، أخبرتك أنك تأتيه العام " قلت : لا قال فإنك آتية ومطوف به " قال عمر فأتيت أبا بكر<sup>(١)</sup> إلى آخر الحديث الشاق على نفوس المسلمين نجد أبا بكر يعلنها صريحة

<sup>١</sup> صور من حياة الرسول ٢٩٠ - ٢٩١



في وجه عمر : أيها الرجل إنه رسول الله ولن نعصى رأيه فاستمسك بغيره حتى تموت فوالله إنه لعلى الحق (١)

ومما أوغر الصدور أكثر . إلزام رسول الله أبا جندل بن سهيل بن عمرو للرجوع إلى قريش . اعتماداً على فرج الله القريب ، قال رسول الله لسهيل عن ابنه حينما قال له : "يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده ، فقال رسول الله إنا لم نقض الكتاب بعد قال سهيل : إذن والله لا أصالحك على شيء أبداً ... قال : فأجزه لي .. وهنا يظهر حرص رسول الله على الاثنتين . الوثيقة وعلى المسلمين قال ما أنا بمجيزه لك (٢)

" لقد حرص رسول الله ﷺ على تطبيق المعاهدة بكل موادها حتى قبل أن يتم التوقيع عليها طبقاً لما جري في قضية أبي جندل سهيل بن عمرو فبشر رسول الله أبا جندل " يا أبا جندل ، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا ، . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم " (٣)

وبذلك وافق رسولنا الكريم سره علانيته ، فهو يحترم المعاهدة ، ويعلم أصحابه بضرورة احتمال بنودها، وتقبل الآراء المختلفة ؛ سواء أكانت مؤيدة أم معارضة ، وهذا الهدى النبوي الكريم يبين بأن حرية الرأي مكفولة في المجتمع الإسلامي وأن للفرد في المجتمع المسلم الحرية في التعبير عن رأيه ولو كان هذا الرأي نقداً لموقف حاكم من الحكام أو خليفة من الخلفاء فمن حق الفرد المسلم أن يبين

<sup>١</sup>المرجع السابق ٤٦٤

<sup>٢</sup>المرجع نفسه ص ٤٦٤

<sup>٣</sup>حياة محمد ص ٣٨٢



وجهة نظره في جو من الأمن والأمان دون إرهاب أو تسلط يخنق حرية الكلمة والفكر .

وكل ذلك نتاج الصدق والوضوح ، وعدم الإيهام ، وإظهار كل البنود ، والنأي عن الإخفاء ، يصور أحدهم الموقف فيقول: فبرك سهيل على ركبته - وكان حريًا به أن يفعل ذلك ؛ لأنه كان أسيرًا في غزوة بدر ، وافتدته قريش ، فكلم رسول الله فأطال الكلام وارتفعت الأصوات وانخفضت " كل ذلك يدل على الوضوح ، وشهادة شهود في الصلح مما يؤكد أن العملية الإعلامية حتمًا لابد أن تكون إعلانية واضحة <sup>(١)</sup> في ألفاظ وعبارات ، وإن كانت تلامس الواقع إلا أنها بعيدة كل البعد عن حمية الخصومة ، وأذكاء نار الفتنة أو التفوه بألفاظ متفلتة من إطار الأدب واللياقة ، مما يؤكد أن وجود خلاف والجلوس على مائدة المفاوضات مهما استعر أوار الخصومة ليس مدعاة للتناول ولا مبررًا للتجاوز ؛ فهذا هو ذا رسولنا الكريم ﷺ .. يصبر على أذى من يدعوهم إلى الجنة ، فيأبوا إلا النار ، وعلمنا إمساك اللسان عند الغضب ، وعدم التجاوز .

وها هم أولاء المسلمون يحزنون - كمتلقين ويرفضون الرسالة الإعلانبة من صلح الحديبية فنظرتهم البشرية أشعرتهم أنهم مغبونون وهم على حق ، وقريش فائزة وهي على باطل ، ونكأ الجرح إرجاع رسول الله لأبي جندل بن سهيل بن عمرو فالمسلمون ابتداء " خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ فلما رأوا من الصلح والرجوع وتحمل رسول الله من نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون <sup>(٢)</sup> .

<sup>١</sup> البيان المحمدي مصطفى الشكعة ٩٥ الدار المصرية اللبنانية

<sup>٢</sup> صور من حياة الرسول ص ٦٣





وعلى تعسف سهيل بن عمرو في نص الصلح وتفسيره كان تسهيل رسول الله ﷺ وتيسيره لانعقادها. ونجد الرجل الإعلامي الذي صاغ في عباراته رؤيته الاستطلاعية ، فقد أدرك بحسه أن مهمته في التبليغ وهدفه من إيصال رسالته معطلاً ؛ بسبب وقوف قريش عقبة كؤد ؛ تحول بينه وبين العرب... فإذا ما زالت تلکم العقبة فالله يهدي من يشاء فكل أركان الرسالة الإعلامية صحيحة ، وأديت بظهور لا خفاء فيه ، بوضوح لا التباس فيه ، ولم يكتمها ﷺ عن باقي أصحابه بل أشهد عليها بعد "على" الكاتب "أبا بكر، وعمر بن الخطاب ،وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو من المسلمين ، ومكرز بن حفص، وهو يومئذ مشرك. فلم يقطع أمرًا دونهم وحلّم عن استعجالهم . وتغاضى عن امتعاضهم فصاحب الرسالة لا بد أن يكون مثل رسول الله كيسًا فطنًا يدرك ما لا يدركه الآخرون.

وتحقق رؤيته ﷺ فهو وإن كان أراد الدخول في ألف وأربعمائة مسلم إلا أنه حينما عاد بعد سنتين كان في جمع يزيد عن عشرة آلاف مسلم وذلك لتمكينهم من الدعوة وتخليته بين المؤمنين وذويهم يدعونهم فيستجيبون .



## ثالثاً : خطبة الوداع

### بين

### مكونات الرسالة الإعلامية والظواهر الأسلوبية المقنعة

قال ﷺ في خطبة الوداع " يا أيها الناس : اسمعوا قولي فإنني لا أدرى لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً" يا أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ،وقد بلغت . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رءوس أموالكم ،لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وأن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضى به ، مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم .

"أيها الناس ، إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله،

" وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان .

"أما بعد ، أيها الناس فإن لكم على نساءكم حقاً ولهن عليكم حقاً ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه . وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة. فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع. وتضربوهن ضرباً غير



مبجح . فإن انتهين : فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان . لا يملكن لأنفسهن شيئاً . وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله . واستحللتم فروجهن بكلمات الله . فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإنني قد بلغت . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً كتاب الله وسنة رسوله .

أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة فلا يحل لأمرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم بلغت ؟

" كان النبي يقول هذا وربيعه يردده من بعده مقطعاً مقطعاً ، ويسأل الناس في أثناء ذلك ليحتفظ بيقظة أذهانهم فكان النبي يكلفه أن يسألهم مثلاً . إن رسول الله يقول : هل تدرون أي يوم هذا ؟ فيقولون : يوم الحج الأكبر .

فيقول النبي : قل لهم إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا . فلما بلغ خاتمة كلامه ، وقال : اللهم بلغت . أجاب الناس من كل صوب . نعم . فقال : " اللهم اشهد<sup>(١)</sup> .

ففى أسلوب أدبي وعبارات متوالية ممتلئة بالمعاني الكثيرة أبلغ رسول الله مجمل رسالته .

من الإعلامي - المبلّغ - ؟ هو الذي يمتلك رسالة ويريد توصيلها لمتلقين لتحقيق هدف مقصود . وها هو ذا... رسولنا الكريم يُصدر كلامه بالنداء للناس كافة ، على الرغم من عدم وجود مشركين لكنها عموم الدعوة التي تطوى الأزمان فيكون متلقوها منوعي القلوب . منهم المؤمن والمسلم وما بين ذلك قواماً . فيكون الخطاب لكل من يؤنس منه العقل والوعي .

<sup>١</sup> سيرة ابن هشام ٢ / ٦٠٣ ، حياة محمد ص ٤٩٢



وقد حوت من الأساليب الأدبية والعبارات التعبيرية الجارية على الحقيقة الكثير والكثير... ثم أعقبت بأمر مبرر: " اسمعوا " لعلي لا ألقاكم "

فكأن وجوب السمع استحق، لتغير الحال فمنذ طرد الإيمان الكفر من القلوب ورسول الله بين أظهر المؤمنين يقول .. فيسمعوا ويفعلوا .. فيوجهه... فكأن ثمة خيط جديد في الأفق فالانتباه يولد التفاعل .

" وإذا تفاعل الإنسان حدثت تغيرات فسيولوجية كثيرة في بدنه كما حدثت تغيرات في هيئة بدنه الخارجية ، وملامح وجهه مما يتبدى على وجوههم شدة التواصل<sup>(١)</sup>

تنويه صادم : " لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا " بهذا الأسلوب الإنشائي - النداء ثم الاستفهام المُعقب بإجابات .. ثلاث استفهامات متوالية.... يليها ثلاث إجابات متوالية قضت بتحريم ثلاث محرمات مضافة إليهم ... وكأنه تنبيه لهم صراحة أن إراقة دم الغير، أو نهب ماله ، أو هتك عرضه . مثلبة جارة لإراقة دمهم، ونهب مالهم . وانتهاك عرضهم " فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام . و أوضح أن ذلك في الزمن المطلق إلى يوم القيامة.

ولتأييد المعني بما لا يدع مجالاً للشك ، فالحضور يعون حرمة النفس والمال والدم لكن حينما يأتي التحذير بصياغة : كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا .. فهو أسلوب تقريرى جاد مشتمل على التحذير والتمثيل.

والمعروف أن المال اسم لكل ما يملكه الإنسان من النقود والعقار والحرث والأنعام وهي تشغل حيزاً كبيراً من فكر الإنسان وذهنه ؛ لذا نص على حرمتها ونهي عن العدوان عليها .

<sup>١</sup> القرآن وعلم النفس. محمد عثمان عناني ص ١٠٨ ، دار الشروق ، ط ٩ - ٢٠٠٦ .



وتتجلي المرجعية الدينية الحافظة على الإنسان المحذرة من التجاوز: " بأنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم " .

إن المتحدث المبلّغ حينما يلقي خبرًا مهمًا أو يسوق فكرة ذات بال يشعر دائمًا بأنه مطالب بالاستوثاق من أن متلقيه باذلي قلوبهم وشعورهم مع آذنه له ، فقال وهو المدرك لقوة انتباههم ويقظتهم له، ولما يقوله متسائلًا . " ألا هل بلغت " تصدر الاستفهام بأداة التنبيه ؛ لكي يزدادوا يقظة على يقظة ، ويربط السؤال بما ألقى ، ويمهد للتنويهاات القادمة فأجابوا : نعم ، فعقب : "اللهم فاشهد"

فالعبرة الأدبية هنا جمعت بين الحسنيين تقويم الجانب الروحي . والجانب المادي المعاش .... هادفة للتوجيه والتربية ، وغيرها من الجوانب ..

والرسائل الإعلامية الآن قد تسقط " من حسابها بالكلية الجوانب الأخرى من الاهتمامات الإسلامية الفكرية والسياسية . (١)

بعكس تلك الرسالة الضامة للكثير، وهو يفصح عن المهمة الأساسية وهي التبليغ : وهو يوحى بإيجاب السماع لمقالة صاحب الوحي ﷺ بتمام الإشارة، وكمال الوعي وهو ما يتطلب من المتلقين الآن فرز الرسالة الإعلامية، والتيقن من صلاحها . فالتمسك بها ، والشك في طالحها .

ثم طرحها جانبًا . ثم توالى التشريعات الملزمة ، ولها ما لها من تأثير على حياة المؤمنين ؛ لارتباطها بتعاملاتهم وأرواحهم، ثم حرم الربا ، وأقر استرداد رؤوس الأموال وفي هذا " توسيع لدائرة الحلال من جانب آخر. (٢)

<sup>١</sup> ماذا يعني انتمائي للإسلام، فتحي مكين، ١٣٢، مؤسسة الرسالة

<sup>٢</sup> المعاملات في الإسلام د / عبد الستار فتح الله سعيد ص ٧٧، دار الطباعة والنشر الإسلامية القاهرة، ط ٢ ، ١٤٠٦ .



ولا شك أن وضع الربا والثأر نوع من تهذيب النفس ، واستبدال طالحها بصالحها من الخصال ، فالخير قابح داخل النفس كخاصية من خواص التكوين، وإن اعتلتها بعض الآفات . فالرسول يرجع الإنسان إلى أصله السوي " فليس شيء من خارج الإنسان يدنسه، بل ما يخرج من الإنسان هو الذي يدنس الإنسان (١) .

وحرم الثأر للدم المراق في الجاهلية . وحرم النسيء والتلاعب في الأشهر الحرم؛ خضوعًا للمصلحة والأهواء .

ثم أقر إن الشهور الحرام ثلاثة متعاقبة ذو القعدة . ذو الحجة، المحرم ، وواحد مضر - شهر رجب - وقبل أن يقر الشهور الحرام استوثق من استمرارية الانتباه متسائلًا ... ألا هل بلغت فأجابوا: بنعم فقال: "اللهم أشهد" وبعد أن نزع عنهم تلبسهم بظلم أنفسهم، وأوجب الالتزام بترتيب الشهور، أوضح أن المقارن لذلك كالعائد للكفر، وحذرهم من الكفر بعده فيدفعهم لضرب رقاب بعضهم بعضًا وعاود الاستوثاق فعاودوا الإجابة ، وهو أسلوب أدبي تعليمي مطروق بكثرة الآن ؛ إذ يجب وجود تواصل بين المعلم والمتعلمين ورسول الله السابق .. فهو المعلم الأول وبهدها يقتدي المتعلمون .

كانت هذه تنبيهات وتوجيهات مجملة ، وحينما تحدث عن شقائق الرجال تحدث عنهن تفصيلًا عقب الإجمال فصدرها بالنداء للناس ، ففي هذا المؤتمر الحاشد الذي يمم المسلمون وجوههم شطره يأخذون مناسكهم ويرسون مبادئهم ، وينزعون مطالبهم عنهم ، ويتفهمون دينهم ، ويعتصمون من زللهم ، ففي هذا الوفد الآمن الباث للأمن حيث توحدت الأهداف وتمثلت المقاصد " . وحديثًا قيل : المصادقية ليست واحدة ؛ لأن هناك قطبين أساسيين يشاركان في صنع القرار

<sup>١</sup> بين الدين والعلم، عبد الرزاق نوفل ص ٣١ ، دار مطابع دار الشعب .



اللغوى وهما المنتج والمتلقى<sup>(١)</sup> فلا منزع لشهوة ولا زهو لطبقة ، وتجلت " الأخوة الخالصة في الله أساسها المحبة ، وزادها التقوي وغايتها رضوان رب العالمين<sup>(٢)</sup>.

وفى هذا تحفيز للهمم ، وترويح عن المشقات، ولا يعني الاعتراف بمبدأ السيطرة الاقتصادية تحريم الذمة المالية للزوجة ، ما دامت تؤدي تكاليفها<sup>(٣)</sup> فالنفقة حق للزوجة ، نص عليها رسول الله حاضاً أن يلتزم " بها الزوج منذ ممارسة الحياة المشتركة ، وعليه أن ينفق باعتدال حسب العادة والبيئة لا يميل إلى الإسراف أو التقثير<sup>(٤)</sup>

فحدد أن للنساء حقوقاً كما أن عليهن واجبات، وهو لا يناقض القوامة ولم ينص على الواجبات ابتداءً اعتباراً بأن لهن مطلق الحقوق المادية والاعتبارية بلا تحديد ، ففي كل شيء للمرأة حق ، سواء أكان مطعمًا ملبسًا مسكنًا أم تبجيلًا واحترامًا وعطفًا ومراعاة وودًا ورحمة .

آلا يوطنن فرش أزواجهن أحد أ، ألا يدخلن بيوت أزواجهن أحدًا بلا إذن ... وأوضح - رحمة منه ورأفة - وتبيناً للعواقب إن فعلن ... ويمتثلن لتلك التوجيهات المحددة فإن للرجال تدرجاً في المحاسبة - بإذن الله - رغبة في الإصلاح ، وإرضاء النفوس - الهجر في المنزل ، الضرب غير المبرح .. ثم أوضح الصورة وجملها بأن العقاب السالف مرتبط بإتيان الفعل ، فمتى ما كففن عن الفعل يجب كف العقاب : لضمان إشاعة الصفاء وهو دعوة لكظم الغيظ الذي يهدف لاستمرار الحياة بلا أضغان، ويعني : كبت الغل الذي يولد الأمراض ،

<sup>١</sup>دينامية النص محمد مفتاح ص ٨٢ الرباط ١٩٨٧

<sup>٢</sup>صورمن حياة الرسول ٥٩١

<sup>٣</sup>الأسرة في الاسلام عرض عام لنظام الأسرة في ضوء الكتاب والسنة مصطفى عبد الواحد

ص ٦٧ مكتبة دارالعروبة

<sup>٤</sup>وسطية الاسلام ص ٦٦



ويخفق الشحنة الانفعالية داخل النفس حتى تنفجر بمرض عصبي أو عقلي، ولكنها عملية استرخاء للنفس والأعصاب واسترجاع لحكم العقل... واستعراض الآيات القرآنية والهدي النبوي الذي يؤثر على النفس فيعمل على إفراغ شحنتها العصبية ؛ ليحل التفاهم والوئام وتسود الرحمة والرأفة والتسامح وظلالهما على المجتمع حتى يزول ما بالإنسان من هيجان " وإرضاءً للنفس .. وسلاً لما في " الصدور، وقد نص ﷺ على وجوب الرزق والكساء لهن بالمعروف ، ولم يحدد الرزق؛ لاتساعه وشموله فقد يكون كلمة طيبة ، أكلة طيبة معيشة طيبة ، وبرر في شكل إقناعي السر وراء الاهتمام بالنساء، وتحديد فقررة كاملة لكيفية التعامل معهن . فالزواج ميثاق غليظ ، والتعبير بذلك " في شأن الزوجية وشأن النبوة وشأن الرسالة له إحاؤه العظيم بقداسة هذه الرابطة "(1).

ولم توجه مثلها للمرأة في كيفية التعامل مع الرجل ، وصلتها به قائمة على الاحترام تلك "الصلة الربانية في أوثق وشائجها يعقدها رب العزة بين نفس الزوجين المسلمين، فإذا هما يلتقيان على الحب والتفاهم والتعاون والتسامح "(2)

١. النساء عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً أخذهن بأمانة الله، استحلالهن بكلمات الله "عوان" إن اختيار تلك اللفظة على دقتها توحى بالبلاغة النبوية ، والقدرة الواسعة على مخاطبة المتلقين ، فالكلمة ذات دلالة فضاضة لا يعلم حدودها إلا الله ، مما يوحي أن الكلمات المترادفة قد تنتخب فيما بينها، ليختار

<sup>١</sup> وسطية الاسلام، ص ٧٥ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط ١ ٢٠١٢  
<sup>٢</sup> شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الاسلام في الكتاب والسنة، د محمد علي الهاشمي  
 ص ١٤٩-١٥٠، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٥ م





أكثرها دلالة ومنذ القدم و العرب يختارون ألفاظهم بعناية فائقة؛ حرصا على إيداع ما تكّن الصدور فيما تنطقه الألسن<sup>(١)</sup>.

٢. ثم تأتي واسطة العقد بالأمر الصريح المباشر حين أمر بتقوى الله في النساء ليس كل فرد في نفسه بل جعله سياقاً عامّاً دعوة للوصاية بهن خيراً ، هذه هي تعاليم الإسلام ، يؤكد عليها رسول الإسلام المُعلم بذلك ، فما بال البعض الآن يأتي من لدنه بشيء ويبثه إعلامياً ويقذفه علينا إِدعاءً بإسلاميته ، والإسلام منه براء ، كما قال الشيخ محمد الغزالي : " بعض الناس يزدري الأنوثة ولا يوارب في تحقيقه لها، ثم يزعم كاذباً أنه ينفذ تعاليم الإسلام"<sup>(٢)</sup>.

وهذا من عظمة الإسلام وكماله فلو احتذينا بتلك الفقرة في برنامج إعلامي ، وأوضحنا للمبلغ والمذيع والإعداد، أتراه سيكون صريحاً أم موارياً ، محدداً أم مطلقاً ، قاسياً أم رحيماً ، مثل ذلك البيان النبوي الجامع ، الذي لو التزمناه لصلحت الدنيا وفزنا بالآخرة ، وتنصلنا مما يقذفه علينا الغرب من ابتداعاته

فحينما قال ابن هرمة :

بالله ربك إن دخلت فقل لها هذا ابن هرمة واقفاً بالبواب

أنشده أحدهم ؛ هذا ابن هرمة قائماً بالبواب ، فقال ابن هرمة : لا لم أقل ذلك أكنت أتسول ، فقال : جالسا ، فقال : أكنت أبول، ثم صححها له أن واقفاً ، فرأى الشاعر أن لفظة قائماً توحى بأنه ثقيل الظل ملازم لبابها لا يبرحه ، أما واقفاً فإنها توحى بعزة النفس فإن شاءت دخل ، وإلا انصرف "مدخل إلى تحليل النص الأدبي ، دعبد القادر أبو شريفة حسين ص ٤٨، دار الفكر للطباعة والنشر ط ٣ ٢٠٠٠

فالعرب ينتخبون الكلمة ويدركون أدق الفروق بين المترادفات، وابن هرمة ولد عام ٩٠ هـ ، وأقام بالمدينة، وتشيع للعلويين ، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بهم ، واسمه : أبو إسحاق إبراهيم بن علي القرشي الفهري " تاريخ العرب بروكلمان القسم الأول ص ٣٨٩ الهيئة العامة للكتاب.

<sup>٢</sup> علل وأدوية الشيخ محمد الغزالي ص ١٢٨ ط ١ دار الشروق ١٩٩٧





،وعاودتنا الريادة ، فقد قاد العربي العالم في العصور السابقة حينما التزم المنهج القرآني ، ولكي نسترد مكانتنا لابد إذن من مؤهل آخر لقيادة البشرية ، غير الإبداع المادي، ولن يكون سوى " العقيدة " فهي المنهج الذي يسمح للبشرية أن تحتفظ بنتاج عبقريتها المادية تحت إشرافها ، فرسولنا الكريم قيم للمرأة قدرها فمن دون المرأة لا يوجد رجال و ينبغي أن يقتدي الإعلامي بتلك الدرر المتواليه حين يسوق حقائق فلا إفراط ولا تفريط ، سواء أكان في سردها أم صياغتها وإحداث توازن محمود بينهما فلأنه ﷺ يدرك أهمية دور المرأة صانعة الرجال بلّغ ذلك وكذلك "كان الشأن في كل إصلاح اجتماعي فرضه على المسلمين (١) فالمرأة سكن ورحمة . فمس رسولنا الكريم ما يتعلق بها بإيجاز غير مخل وإقرار بحتمية الملاءمة بين الاتجاهين : العقلي، والشعوري ، أو العاطفي إذ أن " صياغة الإنسان المتوازن بين الأشواق الروحية والنزعة العقلية والعاطفية هو ما يمكن أن يقدمه الإسلام، وهو ما فشل الغرب بتقديمه حتى اليوم (٢) .

ثم يقر بالأخوة بين المؤمنين، وأن هذه الأخوة تتنافي مع الغضب ، ووجد بين المسلمين ،وساوى بينهم باعتبار أصل جنس آدم المردود إلى تراب فلم التفاخر والتعالي ؟! .

ونزع رداء الكبر مبدأ إسلامي ، فهو لا يوحى بالمكرمة ، بل هي منوطة بالتقوى .

وإذا كان الإعلامي لابد أن يلم بخصائص المخاطبين و توجههم وتوجهاتهم ، الأفكار الراكدة في أذهانهم ، وما يحوم حول رؤوسهم من مبادئ ورؤى ، فقد

<sup>١</sup> حياة محمد، محمد حسين هيكل ٣٥٥

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٣٨



كان ﷺ على بينة جلية بالمخاطبين وانتخب من العبارات ما تؤدي إلى نجاح العملية التواصلية .. فهم إما عرب أو عجم فوضع رمانة الميزان للتفاضل بينهما ألا وهي التقوي ، فلا يداخل العربي الإحساس بالزهو والعلية ، ولا يقتحم العجمي الشعور بالخزي والدونية ... وهو العدل ذاته لانبلاج القياس وظهوره .

وبعد تلك الدرر - اللآلئ المنظومة - يقر بحقيقة واقعة ، ألا وهي أن الدنيا دار ابتلاء وحتماً هناك منغص قاعد للإنسان في كل مرصد جاذب له لكل خطيئة .. فأرسل المعلم والموجه بشارة : "إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه .. وتنويه وتحذير وأرسل طوق نجاة فالتنويه :

" إن الشيطان سيخالط الأعمال ، ومن مأمنه يأتي الخطر، فقد يحقر الإنسان عملاً ويستقله وبه من الإضرار الكثير .وله من الأذى للدين العظيم .. فأطلقها صريحة واضحة فاحذوره على دينكم بالتنبه له . واليقظة من تسلله في صغير الأعمال وحقيرتها ، تحقيراً للصغر والاستهانة وأجلي طوق النجاة من المترصديات كافة " و"قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً " أمراً بيناً . فتلك العبارة صدرت بالتأكيد الموحى بأنه وإن تركهم ﷺ - وهو النافع - فقد ترك لهم الكتاب والسنة - وهو نفع أيضاً - وقال: "فيكم " بظرفية موحية بقلب كل مؤمن ، وعقل كل ذي لب ، وجاء الشرط القارن بين نفي الضلال للاعتصام .

ونلاحظ في المبتدى جاء التعبير: " يا أيها الناس منادياً بأعم عنوان وأشمله " لأجناسهم وأجيالهم ؛ لأنه تقرر به معنى إنسانياً بشرياً . فلا نجعله مما يخاطب به فريق دون فريق (١).

وقد تكرر الاستفهام "ألا هل بلغت ثلاثاً " وهو من أساليبه ﷺ وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ " كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه.



وإذا أتى على قوم سلم عليهم ثلاثاً<sup>(١)</sup> وهذا الاستفهام "آلا هل بلغت" ليس على حقيقته وهو من الشواهد الفنية على بلاغته وهو يتبع الأساليب العربية والمعروف أنه "قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته إلى معان أو أشربته تلك المعانى"<sup>٢</sup>

ومن ذلك قوله ﷺ في حجة الوداع "آلا هل بلغت ثلاثاً" (٣) فهذه الكلمات الأدبية دقيقة الدلالة، مشعة الإيحاء، ونلاحظ: وجازة اللفظ وتكثيف معنى العبارة؛ إذ قرن التوجيه بنشر المعلومة وإعلانها. فإذا ما وضعنا الكلمات تلك أمام الإعلاميين الصائغين لخطاباتهم سواء أكانت إخبارية أم اقتصادية -أم اجتماعية طالبناهم بانتخاب اللفظ القليل.. المودع من المعنى الكثير، ووضعنا أمامهم تلك الجمل المضيفة فاقتدوا بها بما تمثله من تجسيد للمصلحة المجتمعية، وتنقية للذات البشرية، وإضاءة للمسالك الإسلامية، فامتثلوا به كركيزة مع مراعاة متطلبات العصر، وآلياته، التعبيرية والأدبية؛ لكان لنا إعلام مميز ممتد للإعلام القديم مستمداً من أصالته في الصدق والوضوح والبلاغة التعبيرية، منتخباً جملاً إيحائية راقية الدلالة ذات أسلوب أدبي بديع.

إن ما ختمت به خطبة الوداع ( وثيقة سابقة لعصرها في مجال الأدب الإعلامي؛ إذ إن الناس قد يتناقلون الأخبار، وكل "يفهم بقدر ما قدر له" فمنهم من يفهم الأمور في سطحياتها وعلى هامشها، ومنهم من يستنبط ويتوصل من خلال المقروء والمنطوق إلى المسكوت عنه، ونجد دقة الألفاظ

<sup>١</sup> أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ليفهم عنه ١٦٩١١ حديث: ٧٠١.

<sup>٢</sup> تحولات البنية في البلاغة العربية دأسامة محمد البحيري دار النابعة للنشر والتوزيع ط١



فعل من يبلغه يكون أوعي له من بعض من سمعه " فقد قيدت العبارة بالتبعيض ولم تطلق تعميماً كأنها قاعدة راسخة .

فالمناسبة عامة وهي الحج . والحجيج قلوبهم ممهدة لاستماع ما ينساب من فيه ﷺ لتتلقفه العقول ويقر في القلوب ، وكيف حوت الخطبة ركائز إعلامية بينة صريحة من التواصل المستديم مع المستقبل فهم وإن كانوا في الحرم المكي إلا أنهم بعد ذلك سيقومون بصياغة مجتمعاتهم المستمدة الأصول من تلك الركائز المستديمة الاتصال بمصدرها كتاب الله وسنة رسوله . فالأوعية الإعلامية ها هنا محدودة المواجهة منفتحة الأثر .

الأبنية الصياغية التي جاءت في الخطبة متشعبة الدلالات فالاستفهام والنداء شاعا وجذبا الانتباه ، والأنساق الثقافية الموضوعية أكل الربا - استوداع الأمانة - الرغبة في الثأر - تأجيل الشهور كلها عادات مُمارَسة شائعة ، الحقول الصياغية متنوعة ما بين تحذير وتوجيه إرشاد أمر .



## الخاتمة

لقد توافر الأدب الإعلامي في المواقف الثلاثة ، حينما وقف جعفر بن أبي طالب يدافع عن موقف المهاجرين الأول حتى نزع الإعجاب فتلاه الإيجاب لما يريد من النجاشي ، وهو رسول رسول الله يبلغ عنه في عبارة مشرقة ، وجمل مكثفة ما يريد ، والأحداث الثلاثة الإسراء والمعراج ، وصلح الحديبية وخطبة الوداع كلها حدثت تحت مظلة أدبية تتلأأ عبارتها وأماطت اللثام عن جمال الحقيقة ، واللغة الواقعية المائلة إلى التقرير . فقد خلت تلك الأحداث من الارتكان إلى العلوم البلاغية من : بيان ، معان ، بديع ، ومع هذا بلغت عباراتها ، ربوة الفصاحة والبلاغة ، للصدق المتشحة به .

ففي : خطبة المحاجج عن المسلمين أمام النجاشي ، إذ بلغ من إبداع جعفر بن أبي طالب في بيان حالهم ورفض المشركين لإسلامهم وقهرهم وسلبهم حق الحياة والحرية شأنًا ساميًا من الفصاحة فقتنع النجاشي وأقر لهم بالحرية في العقيدة والحياة

**فالإسراء والمعراج :** موضوع بالغ الإعجاز ، والطقس الإيماني ضعيف ، والتيار المناوىء عنيف ، والمُبلغ تجاوز لتوه محنة حادة قوية - حادثة ثقيف - جعلته يستروح بتلك المنحة ؛ وإن كان المخاطبون طبقات مختلفة، إلا أن رسولنا الكريم ساق الحدث بأسلوب راق ليؤدي وظيفته " من وظائف الأسلوب إثارة اهتمام المتلقى حتى تتوثق الصلة بينه وبين العمل الفني وبالتالي يحدث تأثيره المطلوب " <sup>١</sup> فاللجوء إلى النص القرآني احتماءً واسترواحًا واختبارًا فيزداد المؤمنون إيمانًا ، ويعاود المشركون التفكير لإصلاح شأنهم وينقي المسلمين من المنافقين .

<sup>١</sup> موسوعة الإبداع الأدبي د نبيل راغب ص ٢٠



واختلف طريق الحديث عنها لأداء معناها حيث إن المعاني " منها ما يقصد أن تكون في غاية من الإغماض . ومنها : ما يقصد أن يقع فيه بعض غموض مقصود ؛ ليتناسب مع عقول المتلقين ، مما يرفع قيمة الإفهام والاستيعاب لدى المتلقي فيعمل فكره حتى يصل إلى مراميه <sup>(١)</sup>

والإسراء والمعراج حدث عظيم عُبر عنه بكلمات عظيمة موجزة مكثفة، تركن إلى شهرة المُبلِّغ بالصدق . ولأن رسول الله صاحب رسالة سماوية خالدة أراد التأكيد عليها في هذا الجمع الغفير، وأشار للمبادئ الإسلامية العامة ، التي تشتمل عليها هذه الرسالة بجمل واقعية؛ ليفهم هذا الجمع الغفير من شتى بقاع الأرض ، ولم يلتفت لما وقع منهم بعد من التكذيب

" وإذا كانت - درجة الأخبار تختلف من نص إلى آخر حسب نوعه وغايته ، وأن كل نص يجب أن يشتمل على قدر من المعلومات ، وأن تنوع المراتب الإعلامية في النص أو عند إنشائه تحوله أمرًا لا ينبغي تجاهله <sup>(٢)</sup> فإن رسولنا الكريم قد وازن قولًا وموضوعًا بين المخاطبين ، وهو ما تجلى في وجهة الخطاب وزمانه وسياقه . فبث الحدث بأسلوب تقريرى ليتناسب مع الموقف كله .

**وفى صلح الحديبية :** إرادة قوية من الرسول اللين؛ لإتمام الصلح ، والنأي بالمسلمين عن مقاتلة أهليهم ، ودفع كل مناطق الخلاف التي قد تنسف عملية المصالحة، وتدفع الجموع لحرب يكون القاتل والمقتول فيها من الأهل، وفى الجنة أو النار، تقابلها بث عوامل معطلة . ومعضلات منفرة من الطرف الآخر، تجاوزها الرسول؛ لغرض إتمام المصالحة .

<sup>١</sup>مناهج البلغاء وسراج الأدباء ص ١٧٢ دار الغرب الإسلامى بيروت ط ٢ ١٩٨٠

<sup>٢</sup>النقد الأدبى الحديث ، محمد غنيمى هلال ص ١٠٢ دار النهضة العربية ط ٤ ١٩٦٩



فكانت الدلالة على المعنى " دلالة إيضاح " (١) بما لا يدع مجالاً للبس أو حيزاً للالتفاف حولها ، فالمخاطبون شريحة غير محددة، بل هم مختلفو المشارب، والأهواء ،والمقاصد .

**وفي خطبة الوداع** هدأت القلوب ، وسكنها الإيمان ،وتخللها اليقين، والحضور كلهم مؤمنون، منهم : المستقر الإيمان ،ومنهم المقلقل، فجاءت الخطبة وقد أكدت على ترسيخ مفاهيم سبق معرفتها والتعايش معها من المؤمنين الأول ، وفي لفظ جامع بسيط تعريف للمؤمنين المستجدين في عبارات أدبية متتابعة، ضامة للوحي والإشارة في أسلوب فني " لجمع الكثير في القليل ويطلق الذهن من وراء الظواهر القريبة إلى المعاني البعيدة التي تومئ إليها الألفاظ ،

ولا تحتويها بجملتها إلا على سبيل التنبيه والتقريب "على حد قول العقاد"(٢).

وبذلك تكاملت العناصر الإعلامية، وتكافتت على تحديد الفكرة وإيضاحها في المواقف الأربعة من مراعاة المرسل ﷺ: خصائصه ، وصفاته، وفهمه للمخاطبين ، والمرسل إليهم -المتلقين -طبقاتهم ، وشرائحهم ،وانتماءاتهم، والرابط بين الرسالة في المواقف الثلاثة الأخيرة ... إنها تخرج من عباءة الإيمان والتوحيد . أما الهدف فهي متنوعة الأهداف الفرعية المولدة عن المواقف الثلاثة من : إحلال السلام و بيان الإعجاز -ونشر الإسلام.. وغيرها من الأغراض التي حوتها الأوعية الإعلامية بما يتناسب مع المستقبلين والتوقيت والمقاصد.. المستقبل

<sup>١</sup> نحو النص، دراسة تطبيقية لمفاهيم علم النص ( قصة موسى -عليه السلام) النص القرآني نموذجاً ، ابراهيم احمد الدسوقي ص ٣٠ رسالة دكتوراه كلية -دار العلوم - ٢٠٠٧ إشراف د تمام حسان

<sup>٢</sup>يسألونك ص ٨٤ لجنة البيان العربي القاهرة ١٩٤٦





نتيجة لتنوع المستقبلين واختلاف ذهنياتهم ومقدرتهم الاستيعابية نجد الرسائل واضحة .

زاوجت بين الحذف والإثبات . التصريح والتلميح كُـلُّ في مكانه أدى دوره الدلالي بلا إفراط أو تفريط مما يعكس قدرة المخاطب على الصوغ ومقدرته على الإقناع . إضافة إلى الموقف الأول - خطبة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي - فقد عرض قضيته في عبارة أدبية وبأس إعلامي ناشراً لجمال الدين وجلاله وكماله .

- الإبلاغ الإيصال كما قال ابن منظور في "لسان العرب" و كذلك التبليغ، و الاسم منه البلاغ ، أو بلغه و تبلغ كناية و بلغت الرسالة و البلاغ و الإبلاغ ، والبلاغ يشمل الافتتاح والشرح والبيان و التوضيح ....التبليغ من صفات الرسل و خواصهم فلو ضوئنا تلك الكلمة في إطار الخطاب النبوي توجيهاً و إرشاداً... أمراً بفعل أو نهياً عن آخر... لوجدنا أن التبليغ يقتضي الصدق و الأمانة في العرض والحيادية ، نبل الدعوة و مصلحة المبلغين و هو ما حدث معه ﷺ .

فقد حمل رسول الله ﷺ أمانة الدعوة بكل تجرد وإخلاص من خلال منهج التزمه السلف لعلميته وتميزه ، وقد أبرزته دوائر المعارف العالمية ، واشتقت منه أسس العملية الإعلامية ، فالتبليغ الأساس الراسخ لها

﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ

رِسَالَتَهُ ۗ﴾<sup>١</sup>

<sup>١</sup> سورة المائدة ٦٧ .



وقد وجد رجال كانوا ذوى مواقف مشرفة ، و تفوهوا بكلمات عاكسة لرؤيةً  
ثاقبة، و ذهنية راجحة ، ويد للخير و بالخير ماضية ، اختاروا عبارات مشرقة،  
لتوصيل ما يريدون من معنى ، وما يهدفون من عمل .

و كان هناك مواقف جمعت أركان العملية الإعلامية من براعة العرض -  
الصدق - الحرية نعم، فلا يوجد إجبار في الإسلام ، ولا إكراه حتى و لو كان  
المُكْرَه عليه - الدين - هو الخير كله للمكره

فقد حسنها المولى في قوله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>١</sup>

فبعد التبيين ، أى : بعد الإعلام بكل المزايا والعيوب ليتحمل كل نتيجة ما  
يختار، أرسى مبدأ الحرية ، تلك الحرية التي رسخت و سكنت الإسلام و  
المسلمين في كافة البقاع عقوداً و دهوراً

" حتى إن كبار المفكرين اعتبروا النكسة التي أصابت الدولة الإسلامية في  
الأندلس نكسة حضارية أثرت في النمو الحضاري الذي كان يحمل لواء الفتح  
الإسلامي والذي كان يكفل الحريات للجميع و يطبق مبادئ العدالة في أسمى  
صورها<sup>(٢)</sup>. وقد صب رسولنا الكريم عباراته في رسالة أدبية لإعلامها ، والمعروف  
أن الرسالة الإعلامية قديماً أحمئها و سُداها: الكلمة تستودع ما شاء من  
المعاني فكست التراكيب بدلالات متعددة ، فالخطبة نظمت الحياة وعدت ميثاقاً  
نهائياً للحياة المثلى ، فهناك أفكار واضحة وسراج منير يعبر عنه " إن الحياة  
هى المنبع الذي يصدر عنه العمل الأدبي كما أنها منبع أى شيء "<sup>(٣)</sup>

<sup>١</sup> سورة البقرة ٢٥٦

<sup>٢</sup> "العلاقات الدولية والفقهاء الإسلامي ص ٥٧ نخبة من المؤلفين ١٩٩٦ .

<sup>٣</sup> موسوعة الإبداع الأدبي د نبيل راغب ط١ لونجمان ١٩٩٦



وقد عرض رسولنا الكريم لكل عناصر الحياة في فقرات منفصلة و جاءت الفقرات يشيع فيها التناغم الجاذب و ليس ثمة شك في أن لبعض الظواهر الصوتية ( كالتنغيم ) أثرًا واضحًا في رفع درجة إعلامية النص و إبراز الوقائع المهمة فيه وهو ما كان يصاحب أقواله ﷺ فنجد التناسب والتواءم بين الألفاظ والعبارات النبوية دليلاً قاطعاً على فصاحته وبلاغته الحقيقة بالاحتذاء ، الجديرة بالاعتداء ، ، والمعروف أنه يجب أن يكون هناك تناسق ؛ لكي يحدث التشويق فتم المتابعة ، وهذا من أساسيات عملية التواصل والاتصال، لقد عشنا مستهلكين لحضارات الأمم الأخرى ووقعنا فريسة اعتناق فكرة أن الغرب هم من تفتق ذهنهم عن أسس أدب الإعلام ومبادئه لذا ظل يردينا أريدته، وصورنا و كأننا مستهلكين على الرغم من أننا صانعو حضارة ؛ فقد كتب أجدادنا على الحجر و أخشاب الأبنوس و أوراق البردي برسوم ورموز بالهيروغليفية قبل أن يعرف العالم حروف الهجاء ؛ إيماناً منهم بأهمية الكلمة المكتوبة<sup>(١)</sup> فهي أداة الإعلام الأكثر انتشاراً آنذاك .

فالأسلوب الأدبي وُجد مقرونا بالإعلام الذي وجد قديماً و أولاه الإسلام أهمية عظيمة، وراعى مكوناته ، و شروط كل عنصر، ووعى عوامل نجاح العملية الإعلامية ، و تفهم أنها تقوم على ضوابط ينبثق عنها مؤهلات لا بد أن تحوز كل عناصرها و تتكامل و تتكاتف ؛ لكي تنجح العملية الإعلامية ، وإن كان الإعلام يجدد ويطور بفعل التقنية الغربية الحديثة ، وهذا من مقتضيات العصر فإنه نشاط بشري قنن وترعرع في البيئة الإسلامية.

<sup>١</sup> من جوانب الحضارة الإسلامية د إبراهيم سلمان ص ٣٦



وقد تفرد الإعلام الإسلامي بالجمع بين الإخلاص الخفي ، و المظهر العلني في أسلوب أدبي تحقق فيه كل شروط الإبانة من: الإفصاح والتحديد وحمل معنى يراد إبلاغه ، فالدين الإسلامي دين إعلامي بطبيعته ؛ لأنه يقوم على الإفصاح و البيان ، فقد امتاز الوحي بتفرده بأسلوب في خطاب الناس و نشر الحقائق و من ثم نجد الآيات التي تحدثت عن أوجه الإبلاغ والإخبار تجاوزت سبعمائة آية

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>١</sup>.

مما يجعلنا نقرر مطمئنين أن مناهج القرآن هي الأساس الذي تناقلت عنه مبادئ ومكونات الرسالة الإعلامية فقد نزل بالحق ؛ لتحقيق غرض معين، سالكاً مسالك متنوعة : الحوار المنطقي ، القصة، الموعظة الحسنة ، ومناقشة المواقف والقضايا التي تعرض للناس ..

<sup>١</sup> سورة الأعراف آية ٦٢.



## أهم المراجع

- أجهزة الإعلام ودورها في توجيه المجتمع . أحمد عبد العزيز المبارك، دار القضاء البشري، أبو ظبي ١٩٧٧ .
- الإسراء والمعراج دراسة موضوعية د/ أبو المجد حرك ، الدار المصرية اللبنانية.
- الإسراء والمعراج ضوابط الإسلام في الشريعة الرياض ١٩٧٩ .
- الإعلام الإسلامي ( الأصول، والقواعد ، والأهداف ، ) محيي الدين عبد الحلیم مؤسسة، اقرأ الخيرية.
- الإعلام الإسلامي في المرحلة الشفهية ، د /إبراهيم إمام ، مكتبة الأنجلو .١٩٨٠.
- الإعلام ومشكلة الثقافة ، د /عبد العزيز شرف دار المعرفة الجامعية .
- البلاغة والأسلوبية د محمد عبد المطلب لونجمان ط ٥ - ١٩٩٤
- البيان المحمدي، د/ مصطفى الشكعة الدار المصرية اللبنانية .
- الثقافة العلمية للجماهير، جرجس حلمي عاذر، سلسلة العلم والحياة.
- الديوان في الأدب والنقد ، عباس محمود العقاد مكتبة الآداب ٢٠١٤
- السيرة النبوية والإعلام الإسلامي د.عبد العزيز شرف ،مكتبة الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٧٧ .
- النقد الأدبي الحديث ، د محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر ١٩٦٩ .
- النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته د أحمد كمال زكي لونجمان ١٩٩٧
- تحولات البنية في البلاغة العربية د أسامة البحيري دار النابعة للنشر والتوزيع ط ٢٠١٤
- تنمية المجتمع وقضايا العالم التربوية ، رشاد أحمد عبد اللطيف ، دار المعرفة الجامعية.



- جهادنا المقدس . د عبد الحليم محمود مجمع البحوث الإسلامية.
- حياة محمد ، محمد حسنين هيكل دار المعارف ط ١٦ .
- صور من حياة الرسول أمين دويدار دار المعارف ط ٥ .
- لسان العرب لابن منظور.
- مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ع ١٠ / ٢٠٠٥ .
- مسئولية الإعلام الإسلامي رشاد شحاتة أبو زيد دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٠ .
- من جوانب الحضارة الإسلامية د إبراهيم سليمان . ب - ت
- مناهج البلغاء وسراج الأدباء ط ٢ ، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٢ .
- موسوعة الإبداع الأدبي د نبيل راغب ط ١ ١٩٩٦
- نظرية الإعلام الإسلامي منير حجاج الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٢ .
- يسألونك، عباس محمود العقاد لجنة البيان العربي ١٩٤٦ .